الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب و اللّغات

قسم اللغة و الأدب العربي

عنوان المذكرة:

أبعاد الشخصية الإنسانية في رواية "العلاّمة" لبنسالم حميش

مذكرة مقدمة لاستكمال الماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص : أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

- **روبة معزوز**
- **ياسمينة حمودي**

إشراف الدكتورة:

يمينة ثابتي

السنة الجامعية: 2022م-2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى:﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ سورة إبراهيم الآية:(7)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(من لم يشكر الناس لم يشكر الله.) حديث شريف (رواه أحمد وأبو داود والبخاري).

فالحمد والشكر لله عزوجّل أولا وقبل كل شيء على تيسيره وتوفيقه لنا في إنجاز هذا العمل.

يسعدنا أن نتقدم بعميق الشكر وخالص التقدير والاحترام إلى أستاذتنا الفاضلة "ثابتي يمينة" التي أشرفت علينا طيلة إنجاز هذا البحث ،بنصائحها وإرشاداتها القيمة، كما تفضّلت علينا بوقتها رغم انشغالاتها وارتباطاتها، ونتمنى أن يجعل الله هذا العمل في ميزان حسناتها وأن يجعلها في خدمة العلم و رمز عطاء لطلبة اللغة والأدب.

وإلى كل أساتذة كلية الأداب واللغة، وإلى كل من له الفضل في إعانتنا على إنجاز هذا البحث من بعيد أو من قريب.

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع إلى:

من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار.

أرجو من الله أن يمد في عمرك

والدي العزيز.

إلى معنى الحب والحنان والتفاني إلى بسمة الحياة وسر الوجود ، إلى ملاكي في الحياة من كان دعاءها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة .

إلى من هم أقرب إلي من روحي وشاركني حضن الأم وبهم أستمد عزتي وإسراري

إخوتي.

إلى زميلتي التي شاركتني هذا العمل المتواضع والتي كانت سندا لي

ياسمينة

روبة

إلى من لا يطيل الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ، ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جلّ جلاله.

إلى من أدى الأمانة و بلغ الرسالة ونصح الأمة إلى أشرف خلق الله سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام.

إلى من سهرت الليل معي بالدعاء حرستني بالمناجاة ،وإلى من دفعتني بكلمات من أمل ورافقتني في كل خطوات بحثي، إلى أعز من في الوجود اللذين في القلب يحيا بحبهما الوالدين الغاليين كانا لي دوما الحارس أهدي زهرة العمر مذكرتي إليهما.

إلى ورد من حولي عطرتني بهمسات التشجيع أخواني وأخواتي وجميع صديقاتي.

ولا أنسى من شاركني هذا العمل زميلتي والتي أصبحت صديقتي روبة أعزها الله وحفظها.

ياسمينة.

المقدمة

مقدمة:

تعد الرواية فنا أدبيا مميزا، لأنها عمل قابل للتكييف مع المجتمع، فهي الجنس الأدبي الذّي استطاع أن يعبر بشيء من الامتياز وبنوع من رؤية عن العالم الإنساني ككل، لأنها وببساطة مرآة تعكس واقع المجتمع، فعالمها مستمد من الواقع الاجتماعي الذي تعيد صياغته بطريقة فنية تجعلنا أكثر انغماسا فيه لقربه من الإنسان أينما كان وحيثما وجد.

تعول الرواية على التنوع والكثرة في الشخصيات، فنجدها تقترب من الملحمة تارة ومن المسرحية تارة أخرى، غير أن شخصيات الملحمة أبطال غير عاديين ، أما شخصيات المسرحية، الحديثة خاصة، فهي قريبة جدا من عامة الناس، حتى لغتها تكون عامية في أغلب الأحيان، لهذا نجد أن الرواية العربية تتميز بطابعها الشعبوي، فهي ذات أسلوب قصصي يستند إلى مرجعيات معينة، وهي وسيلة الروائي للتعبير عن هذه المرجعيات باعتبارها مركز تتشكل حوله باقي العناصر السردية المكونة للرواية.

جاءت رغبتنا في موضوع بحثنا الموسوم:" **أبعاد الشخصية الإنسانية في رواية العلامة لبنسالم حميش**" والدافع وراء هذا الاختيار هو شخصية البطل في هذه الرواية، الذي يعد شخصية تاريخية، وشغفنا حول اكتشاف أحداث رواية يكون البطل فيها شخصية معروفة في علم الاجتماع بنظرياته ورؤيته العلمية الدقيقة وهي شخصية الشيخ العلامة ابن خلدون، وكذا الرغبة في الكشف عن مدى قدرة الروائي في جعل هذه الشخصية شخصية روائية متخيلة، وعليه نطرح الإشكالية الآتية والتي تتمثل في جملة من الأسئلة:

_ما مفهوم الشخصية؟ وما هي أبعادها؟

_ماهي آليات بنسالم حميش التي استعانها في استدعاء شخصياته ورسمها؟ وما علاقة الشخصية الرئيسية بباقي الشخصيات؟ وكيف ربط شخصية ابن خلدون عن النظام السياسي في فترة معينة من تاريخ الأمة الإسلامية؟ وما مدى واقعية هذه الرؤية؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية توسلنا بآليات المنهج البنيوي لأنه الأنسب للكشف عن أبعاد الشخصيات تحليلا ووصفا، وعليه فقد قسمنا بحثنا إلى مقدمة ومدخل نظري وفصلين تطبيقيين وخاتمة.

جاء المدخل المعنون بـ: **الشخصية بين الرواية والتاريخ**، للتعريف ببعض المصلحات التي يتمحور حولها موضوع البحث كعلاقة التاريخ بالأدب، والرواية التاريخية، والشخصية التاريخية وعلاقتها بالشخصية الواقعية، أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان **البناء الفني في الرواية** وقد ذكرنا فيه ملخصا لرواية العلامة وقسمناه إلى ثلاثة مباحث، تطرقنا في المبحث الأول إلى بنية الزمان في الرواية، وفي المبحث الثاني إلى بنية المكان، وختمناه بمبحث ثالث بعنوان بنية اللغة.

وتطرقنا في الفصل الثاني المعنون: "**أبعاد الشخصيات بين الواقع والمتخيّل** قسمناه أيضا إلى ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول الحديث عن أنواع الشخصيات، بينما المبحث الثاني درسنا شخصيات الرواية وتحديد سماتها الفيزيائية والتعريف بها ودرجة قرب الشخصيات الثانوية من الشخصية الرئيسة وهي شخصية ابن خلدون المفكر، تطرقنا في المبحث الثالث والأخير إلى أبعاد الشخصيات في الرواية ، كالأبعاد النفسية والاجتماعية والتاريخية، ثم ذيلنا بحثنا بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

استعنا لإنجاز هذا البحث بجملة من المصادر والمراجع متنوعة الاختصاصات والموضوعات أهمها تظهر فيما يلي: "رواية 'العلامة لبنسالم حميش" وهي المصدر الرئيسي، أما المراجع الأساسية التي اعتمدنا عليها : كتاب "بنية الشكل الروائي لحسن بحراوي "، و كتاب "تحليل النص السردي لمحمد بوعزة"، وكتاب "تحليل الخطاب الروائي لسعيد يقطين"، وكتاب "الرواية التاريخية لجورج لوكاش". فقد أنارت لنا هذه الكتب دربنا الذي كان غامضا في البداية، حيث اتّضحت بفضلها الكثير من المفاهيم .

رغم مواجهتنا للعديد من الصعوبات كغيرنا من الباحثين ، أهمها قلة المصادر والمراجع والدراسات السابقة حول هذه الرواية خاصة في الجانب التطبيقي، لكن استطعنا تجاوزها بفضل الله عزوجل، وجهودنا ثم الأستاذة المشرفة "ثابتي يمينة" التي لم تبخل علينا طيلة فترة إنجازنا لهذا البحث بنصائحها وملاحظاتها وتوجيهاتها، وسددت خطانا نحو الأفضل، فلها جزيل الشكر والتقدير والامتنان، ونتقدم بجزيل الشكر إلى جميع الاساتذة الذين رافقونا طيلة مسيرتنا الدراسية، وإلى الأساتذة المناقشون الذين تكبدوا عناء قراءة هذا البحث وتقويمه ولكم جزيل الشكر والإخلاص .

نتمنى أن تكون هذه الدراسة أضافت ولو القليل إلى الدراسات السابقة، لا يمكن أن تكون نهائية وكاملة إذ يستطيع باحث آخر أن يعيد تحليلها برؤية أخرى، ويبقى الكمال لله وحده سبحانه وتعالى .

وآخر دعواتنا أن الحمد لله رب العالمين.

مدخل

الشخصية بين الرواية والتاريخ

1- التاريخ بين الأدب و الرواية

2- الرواية التاريخية

3- الشخصية التاريخية

4- العلاقة بين الشخصية الواقعية (التاريخية) والشخصية الروائية

5- أبعاد الشخصية

1- التاريخ بين الأدب و الرواية:

أ- علاقة التاريخ بالأدب:

شكل التاريخ بانكساره وركوده مادة خصبة للأدب, فهناك من النقاد من يرى أن التاريخ تجربة وإلهام يخلق من خلاله عمل أدبي باعتباره مادة هامة بالنسبة للأدب فهو ينهل من موضوعاته وحوادث نصه وشخصياته, وقد استطاع التاريخ أن يضمن لنفسه مكانا بين مختلف الأجناس الأدبية كالرواية والقصة، فالتاريخ في نظر **سكوت** : "يعني بطريقة أولية ومباشرة جدا مصائر الناس وليس عند ذلك إلا أن يجسد مصيرا شعبيا ما في شخصية تاريخية ويبين كيف أن أحداثا كهذه متصلة بمشاكل الحاضر."[1] و بالتالي دخول التاريخ على الأدب كان بمثابة اشراقة أمل للأدباء باعتباره من أدوات الثقافة التي تربطهم بالهوية، فالتاريخ يحاول أثناء بحثه بتسجيل حوادثه اعتمادا على الحقيقة أحيانا والوثيقة من حين آخر لتحقيق الموضوعية والاقتناع قدر المستطاع, أما الأدب يراهن على التخييل وإعادة بناء ما جرى من حوادث الماضي من أجل تحقيق الجمال إثارة الدهشة والسعي نحو المعرفة".[2]

إن الأدب والتاريخ فرعان لشجرة واحدة "فالخطاب التاريخي يسعى إلى تقديم حصيلة من النتائج المترتبة عن واقع معين وأحداث محددة جرت في زمن مضى, فخطاب التاريخ يرتبط أساسا بالماضي الذي يشده إليه ويبعده عن العلوم بخياله إلى استشراق آفاق المستقبل, و هو الشيء الذي يهدف إليه خطاب الأدب قبل كل شيء."[3]

ب- علاقة التاريخ بالرواية:

اختلفت المواقف والآراء حول العلاقة الموجودة بين التاريخ والرواية نظرا لتعدد وجهات نظر النقاد والمفكرين, خاصة بعدما لقيت النصوص السردية بالغ الاهتمام من طرف النقاد خاصة الرواية إذ أنها "اعتبرت ديوان العرب في القرن العشرين[4]، فقد اتخذت الرواية صور و أشكال مختلفة في تعاملها مع التاريخ كونه مكوّنا من التراث ،"حيث أصبح رهانا تستند إليه الرواية، رغم صعوبة توظيفه والتي تكمن في أنّ النص الروائي الذي يستند إلى التاريخ في متنه

---

[1]- جورج لوكاش، الرواية التاريخية ، تر: صالح جواد كاظم ،دار الطباعة ،(د،ط)،بيروت، 1978،ص417.

[2]- الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي ، دار الجنوب للنشر ،تونس ،2004م، ص391.

[3]- سعيد سلام، التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا)، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن،2010 م، ص181.

[4]- عبد الله إبراهيم،السردية العربية الحديثة ، المركز الثقافي ،ط1، المغرب ،2003 م،ص297.

الحكائي يكتنفه مرجعيتان وينازعه طرفان يتعلقان أحيانا ويفترقان أحيانا كثيرا." ومنه تبدو أن علاقة الرواية بالتاريخ علاقة وطيدة ومتماسكة بالرغم من الاختلاف القائم بينهما واختلافهما في الموضوع، في حيث أن الرواية ستعلم الواقع من خلال كل تضاعيفه ومجريات تتابع أحداثه بتقنيات فنية، أما التاريخ فهو يستنطق الماضي ويبلغ أقصاه في البحث عن الحقيقة."[1]

2- الرواية التاريخية:

ترتبط الرواية ارتباطا وثيقا بالتاريخ كلاهما يقوم على السرد والاهتمام بالأحداث والشخصيات, وإذا كان التاريخ حكاية الماضي، فإن الرواية حكاية الماضي والحاضر والمستقبل. "اتخذّت الرواية التاريخية أشكالا أخرى كما اتخذّ التاريخ أشكالا متنوعة هو الآخر ولكن هذه العلاقة الزمنية اللغوية والسردية مازالت تسكنها بدرجة أو أخرى"[2] إذ ترتبط الرواية التاريخية ارتباطا وثيقا بزمن السرد مثلها مثل التاريخ.

تعد الرواية التاريخية ضرب من الرواية يمتزج فيه الواقع بالخيال، وتهدف إلى تصوير عصر من العصور بأسلوب روائي مبني على معطيات التاريخ، وقد لعبت الرواية التاريخية دورا مهما عند الغرب لأنها بالنسبة لهم تعبر عن أحداث ماضية مقدسة وجب على كل فرد معرفتها لأن ماضي الأمة هو الذي يقوم عليه مستقبلها.

أوضح (جورج لوكاش) أن الرواية التاريخية نشأت في مطلع القرن التاسع عشر زمن انهيار "نابليون بونابرت" تقريبا ، لكن يمكن العثور على روايات ذات موضوعات تاريخية في القرنين السابع والثامن عشر ويستطيع الشخص أن يعتبر الأعمال وسيطة لتاريخ مقدمات للرواية التاريخية.[3]

يمكننا أن ندرك أن الرواية التاريخية تبنى حكائيا على التاريخ وتقنيات عمله وتتشكل منه وتضيف عليه وتختزل منه و تتعرف فيه، و لكنها ليست تاريخا لإنصاف كل لون و يصف (جورج لوكاش) الرواية التاريخية بأنها: "رواية تشير إلى الحاضر و يعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات."[1]

---

[1]- منصور قيسومة، الرواية العربية ،الإشكال والتشكيل ،دار السحر للنشر ،ط1، 1997،ص55.

[2]- فيصل دواح، الرواية وتأويل التاريخ ونظرية الرواية والرواية العربية ،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،ط،2004م، ص81.

[3]- جورج لوكاش، الرواية التاريخية، تر: صالح جواد كاظم، دار الطباعة، (دط)، بيروت،1978م، ص11.

يعرف (سعيد يقطين) الرواية التاريخية بقوله :"إن الرواية التاريخية هي عمل سردي يعمل على بناء حقبة من الماضي بطريقة تخيلية حيث تتداخل الشخصيات التاريخية مع شخصيات متخيلة"[2].

مرت الرواية التاريخية في أدبنا العربي بثلاث مراحل واضحة المعالم وهي:"**المرحلة الأولى**" مرحلة إعادة تأسيس التاريخ سرديا، مع محاولة للتقيد ولو من بعيد بمجريات تعليمية إجبارية كما ظهر ذلك في أعمال "**جورجي زيدان**" "**المرحلة الثانية** " فهي مرحلة الموازنة بين ما هو تاريخي وما هو فني إذ أن التاريخ يكتب في قالب روائي متعدد المعالم ذات أهداف واضحة كما يستعرض وجهة نظره التي شاعت في روايات "**نجيب محفوظ**" الأولى ، بالنسبة "**للمرحلة الثالثة و الأخيرة**" فهي مرحلة استثمار التاريخ اسقاطيا واعيا، يذهب التاريخ فيه إلى ما هو فني بالدرجة الأولى، والروايات التي سارت على هذا المنهج تسعى جاهدة إلى تفسير الواقع المعيشي من خلال الماضي المنقض الذي يمكن يعيد نفسه لكنها تهرب إلى فترات متشابهة للحظتها الحاضرة، فتقوم كما بما يسمى بالإسقاط التاريخي فنلتمس ذلك عند "**جمال الغيطاني**".كان لابد من أن تمر الرواية العربية التاريخية بهذه المراحل حتى تصل إلى النضج الأدبي الفني الّذي يضمن لها الاستمرارية ويتقبلها القارئ العربيفي تناسق تام بين ما هو تاريخي وما هو أدبي تخيلي في قالب سردي روائي، بمعنى أنّ الرواية لا تعيش الماضي وإنما تثير الحاضر ليعيشه المعاصرون، ويعرفها أيضا (جورج لوكاش) في حديث آخر: "الرواية تعتبر جوهر العمل الروائي الأكثر عمقا عن ذاته في السؤال التالي: ما هو الإنسان"[3] فإنّ الرواية التاريخية تخوض في العمل الأدبي حيث أنها تتعمق في ذات الإنسان.

يرى نضال الشمال "في هذا تحديدا جيدا للرواية التاريخية حيث يبرز فيه الاختصاص ولا تلقب فيه الرواية التاريخية في حساب تاريخيها."[4]

---

[1]-جورج لوكاش، الرواية التاريخ،ص145.

[2]-سعيد يقطين، الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، مجلة نزوى، العدد 44"nizwa.com /articls.php. "، بتاريخ 22-2009-07.

[3]- جورج لوكاش، مرجع سابق ،ص89.

[4]- نضال الشمالي، الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب الرواية التاريخية ، دار النشر التوزيع ، ط1،2006م، ص144.

يقدم (ستودارد) "تعريفا مغايرا مفاده أن الرواية التاريخية تمثل سجلا لحياة الأشخاص ،و عواطفهم تحت بعض الظروف التاريخية "[1] فهنا نجد انه يركز على قيمة العمل أكثر من تاريخه فالرواية سجل لحياة الأشخاص تحفها الحوادث التاريخية لأنها بحكم عودتها إلى الماضي سواء كان قريبا أو بعيدا.

أرجع (عبد المالك مرتاض) سبب ازدهار الرواية التاريخية إلى عنايتها بتحليل الأحداث التاريخية، وهذا ما نلمسه في قوله: "ولعل الرواية التاريخية ازدهرت كل هذا الازدهار الذي بلغ أوجه لأنها عمدت إلى تحليل الأحداث التاريخية والاجتماعية بشكل فني بارع، ثم لأنها كانت في عصر كان الناس فيه لا يفتون يعتقدون في قيمة سلطان الفرد وسليلة على التاريخ ،من أجل ذلك ألفينا الرواية التاريخية تدرج شخصيات جديرة بتمثيل الوطن وروح العصر والقيم الشعبية والطبقات الاجتماعية لذلك العصر مع استمارة تلك الشخصيات الروائية بالقدرة على التأثير في الأحداث والتحكم في سير التاريخ."[2]

إن السبب الرئيسي في ازدهار الرواية التاريخية هو تحليل الأحداث التاريخية وذلك بشكل بارع جدا، وقد بيّن (أحمد حمد النعيمي) في كتابه (إيقاع النص في الرواية العربية المعاصرة):"أن تطور الرواية التاريخية تبيّن في أحلى شكل كيف أن يبدو مجرد معضلات، شكل وتركيب مثلا، كان يجب أن تكون شخصيات التاريخ الخبيرة أبطالا رئيسية أو شخصيات ثانوية يخفي بوضوح معضلات إيديولوجية وسياسية لها لهذا كانت الرواية التاريخية نوعا أدبيا قائما بذاته وله قوانينه الفنية الخاصة به ،لا يمكن أن تحل إلا على أساس موقف عام من المعضلات الإيديولوجية السياسية الحاسمة."[3] ومن هنا يمكن القول أن الرواية التاريخية نوع أدبي قائم بذاته، لها قوانينها الفنية الخاصة بها.

3- الشخصية التاريخية:

تعد الشخصية التاريخية من أهم العناصر التي يحاول الكاتب إدراجها في الرواية لأنه يتمكن بواسطتها من إحياء هذا التاريخ في ذاكرة الشعوب، وتوظيف الشخصية يحتاج إلى دراية كاملة بالأحداث التاريخية، فحسب (جورج

---

[1]- المرجع نفسه ،ص113.

[2]- عبد المالك مرتاض ، في نظرية الرواية ، بحث في تقنيات ، علم المعرفة، (دط)،1930م، ص ص 32،31.

[3]- أحمد حمد النعيمي ،إيقاع النص في الرواية العربية المعاصرة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان ،الأردن ،ط1 2004م، ص421.

لوكاش): "الشخصية التاريخية الكبيرة بوصفها روائيا ثانوي قادرة على أن تعيش نفسها في الخارج بشكل كامل بوصفها كائنا انتمائيا، وعلى أن تعرض بحرية كل صفاتها الرائعة والتافهة، ومع ذلك فمكانتها في الحدث هي على نحو لا نستطيع معه إلا أن نتصرف وتعبر عن نفسها في مواقع ذات أهمية تاريخية، إنما تتجزأ هنا تعبيرا عن شخصها متعدد الجوانب وكاملا، ولكن ليس بقدر ما هي مرتبطة بأحداث التاريخ الكبيرة."[1]

تستطيع الشخصية التاريخية أن تؤدي وتمثل جميع الأدوار التي لها علاقة بأحداث التاريخ أو بالأحرى المرتبطة بأحداث تاريخية، "إن الشخصية التاريخية العظيمة هي ممثل حركة مهمة ذات مغزى تضم أقساما كبيرة من السكان، والعاطفة الشخصية والهدف الشخصي يتوافقان مع هذه النضالات الشعبية."[2] أي انّه هناك توافق بين الشخصية التاريخية والحركة التاريخية التي هي عبارة عن حركة مهمّة تمثل مغزى خاص.

أشار (محمد القاضي) في كتابه "الرواية والتاريخ أنه " عادة هناك تزاوج بين الشخصيات التاريخية والشخصيات المتخيلة إلا أن الأمر لا يقف فيها عند هذا الحد وإنما يتجاوزه إلى ظاهرة أخرى هي استناد أعمال تاريخية محل يتقاطع في التاريخ و الروائي."[3]

تجتمع في الرواية التاريخية الشخصيات التاريخية والشخصيات المتخيلة، وهذا من خلال إسناد أعمال وأدوار تاريخية إليها، و"تتجلى الوقائع من خلال الشخصيات التاريخية التي تعلف بها الأهمية الأولى، ولعلّ عنوان الرواية كاف للدلالة على ذلك، كما أنّ حضور الأسماء الحقيقية يدل بأن الأبطال في التاريخ هم الأبطال في الرواية، واستنباط الشخصيات التاريخية يضعها أحيانا في تماس مع المرجعيات ويزج بها في سياق الأحداث الكبرى."[4] وبالتالي فإن الشخصيات التاريخية في أحيانا كثيرة هي شخصيات حقيقية مستمدة من الواقع.

تعد الشخصية في الرواية التاريخية" كل شيء في العمل السّردي عامة، والعمل الروائي خاصة تشبيها لها بسلطان الفرد الذي كان يؤثر في الأحداث وحده، فإن الأعمال الروائية والسّردية بوجه عام لا تتناقض مع الحقيقة التاريخية

---

[1]- جورج لوكاش، الرواية التاريخية، ص51.

[2]- المرجع نفسه، ص21.

[3]- محمد القاضي، الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنشر، ط1، تونس، 2008م، ص47.

[4]-محمد القاضي، الرواية والتاريخ ،ص ص:47،48.

وإنّما العيب كل العيب أن نتكلف التاريخ في الرواية بشكل يزدجي الروائيين والنقاد التقليديين معا."[1] وهنا نجد أنّه تشبيه الشخصية بسلطان الفرد بمعنى أنّ الشخصية هي كل شيء في العمل السّردي خاصة والعمل الروائي عامة. وقد اعتنى الروائيون بتصوير الشخصية التاريخية في الرواية التقليدية وكأنها " كائن حي له وجود ميتافيزيقي... وبأن الشخصية تلعب الدور الأكبر في أي عمل روائي يكتبه ،كانت روائية أم تقليدية ويبدو أن العناية الفائقة برسم الشخصية أو بناءها في العمل الروائي ،كان له ارتباط بهيمنة النزعة التاريخية والاجتماعية من جهة وهيمنة الإيديولوجية من جهة أخرى." [2]

تؤثر الشخصية كثيرا في الرواية التاريخية، فهي تتحكم في سير الأحداث وارتباطها ببعضها البعض، وفي دراسة أجرتها (رزان محمود إبراهيم) في كتابها "الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية" تقول: "تعامل يوسف زيدان مع الشخوص التاريخية الهامة، نلاحظ إيجازا شديدا في عرضه لها خلاف لتلك المتخيلة ،بل نلاحظ ابتعادا ملحوظا عن مراكبة الكون النفسي لهذه الشخصيات."[3] فبالتالي يستوجب علينا الاهتمام بالجوانب النفسية للشخصية التاريخية.

نستنتج أن الشخصية الواقعية والتاريخية هي عنصر فعّال ومهم في الرواية، فهي تقوم باستحضار الماضي وتجسيده على أرض الواقع وقد تكون متخيلة وهذا طبعا حسب توظيف الكاتب لها.

4- العلاقة بين الشخصية الواقعية (التاريخية) والشخصية الروائية :

يختلف الروائيون في رسم الشخصية تبعا للطريقة التي يستخدمونها في التعبير عنها، فمنهم من يتحكم فيها ويكون مسؤولا عن تصرفاتها وفي كل حركة تتحركها، ومنهم من يمنح لها الحرية المطلقة فتصبح غريبة في تصرفاتها إما بالنسبة للكاتب أو بالنسبة للنّاس لدرجة أنها تضبطه بدلا أن يضبطها وتأخذ حيثما تريد وذلك لصعوبة التحكم فيها"[4]، كما تتنوع نظرة الروائيون للشخصية وذلك لاختلاف مسؤولياتهم الموجهة نحوها، فمنهم من ينظر إليها نظرة تقديس وإعجاب، فيسموا بها ويمجد أفكارها وأحلامها وأمنياتها، ويصورها في صورة ايجابية فعالة ويضعها في موضعها

[1]- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، ص29.

[2]- المرجع السابق، ص71،72.

[3]- رزان محمود إبراهيم، الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية، دار النشر، عمان الأردن، ط1، 2018، ص93.

[4]- يُنظر، أحمد أمين، النقد الأدبي، ص122.

الملائم والقريب من كل نفس حتى أن القارئ قد يتمنى أن يكون في مكانها أو يصادقها لشدة قربها منه وإعجابه بالصورة التي وصفت بها إذ أعطيت لها القيمة والمكانة المناسبة لها، ومنهم من يكره الشخصية وينظر إليها نظرة احتقار وإذلال، فيقصيها ولا يعطيها قيمتها بل يثقل كاهلها بالحزن والمصائب والألم والمظالم ويصوّرها بصورة دنيئة منفرة بغية استفزاز مشاعر القارئ، ومن جهة أخرى نجد بعض الكتاب ينظرون إلى الشخصية نظرة محايدة فيرون أنه "لا ينبغي للفنان أن يكون الحكم بالنسبة لشخصياته ولما تقوله، و إنما مجرد شاهد نريه"[1]، فيقدمها تقديما موضوعيا صادقا فهي تقوم على جانبين متباينين ،الخير والشرّ والجمال والقبح ،التفاؤل والتشاؤم ، الفرح والحزن... لذا يقود بغض الشخصيات أو حبها إلى التركيز على أحد جوانبها دون الاهتمام بالآخر، فحياده يمنعه من الالتزام بأحد جوانبها دون الآخر.

– الشخصية بين الخيال والواقع:

تختلف الشخصية بين الخيال والواقع، فهناك من يراها كائن خيالي يوحي بالحياة والواقع ،وخلق يكسبه المؤلف مظهرا ماديا ، ووزنا من لحم ودم ،و مرونة للحركة وشكلا للوجه المعبر الحي ،فتبدو الشخصية حية حقيقية لها تأثير عميق في قارئها ،فتأكد (نيلي كورمو)" أننا لا نستطيع أن نتصور عملية خلق تقوم كلها على العدم، فالواقع لابد أن يقدم دائما العناصر الأولى للعمل الأدبي.[2]"

يعمل الكاتب على اختيار ما يريد تصويره من الحياة فيعيد خلق اختياراته بأوضاع جديدة غير معروفة ويستغني على كل ما هو عرضي لا فائدة منه، "إذ أنّ إحساس القارئ بمعرفة الشخصية التي يقرأ عنها دليل تنضوي إليه بشائر إثراءها بالحياة واستلهامها من الواقع" [3]، فخلقها وبعثها الخيالي لا يعني فصلها فصلا تاما عن الحياة.

[1]– نيكولاي أناستاسييف، شخصية المؤلّف في أدب القرن العشرين، تر: بنعيسى بوحمالة، فصول، م10، (ع1)، القاهرة، 1991، ص239.

[2]– نيلي كورمو، فيزيولوجية القصة، الأدب، ع1، بيروت، 1945، ص ص، 73،74.

[3]– عبد المالك مرتاض ،في نظرية الرواية ،عالم المعرفة ، الكويت ،1998 ،ص90.

5_ أبعاد الشخصية:

تحدد معالم الشخصية وملامحها من خلال رسم أبعادها كـ:

- **البعد الخارجي**: يشمل البعد الخارجي المظهر العام للشخصية مثل وصف طولها وقصرها وحجمها ولون بشرتها وسلوكها الخارجي، ويسهم هذا البعد في تبيان السمات العامة الظاهرية التي تتراءى بها الشخصية بين الآخرين.[1]
- **البعد الداخلي**: يشمل البعد الداخلي الجوانب الفكرية والنفسية للشخصية، والسلوك الناتج عن تفاعلها مع العالم الخارجي، كما يشمل أيضا التركيز على الجانب الخفي من حياة الشخصية وكل إنسان له شخصية عامة وأخرى خاصة سرية خفية لا يظهرها إلا حين يخلو بنفسه أو يكون بين القلة من خاصته، إذ أنه يمارس تصرفات تختلف اختلافا كليا عن شخصيته العامة.[2]
- **البعد الاجتماعي**: "إن انتماء الشخصية إلى فئة معيّنة من الناس أو مكان محدد كالريف أو المدينة، أو طبقة اجتماعية بحيث ينعكس هذا الانتماء على حركتها ولغتها وسلوكها وطموحها."[3]ونظرتها إلى العالم، وأي وصف لا يشتمل على نظرة شخصيات العمل الأدبي إلى البيئة المحيطة لا يمكن أن يكون تاما.

ترتبط هذه الأبعاد ارتباطا وثيقا فيما بينها، فمظهر الشخصية وسلوكها وأفكارها وفلسفتها ومكانتها الاجتماعية عوامل تؤثر سلبا أو إيجابا على نفسيتها وبالتالي تصدر منها أفعال إرادية أو غير إرادية.

---

[1]- يُنظر، محمود ذهني ،تذوق الأدب طرقه ووسائله ،مكتبة الأنجلو المصرية ،القاهرة ،ص147.

[2]- يُنظر، محمود السمرة ،في النقد الأدبي،ص24.

[3]- فريال سماحة ،الشخصية في روايات حنا مينة ، ط1،المؤسسة العربية ، بيروت ،1999 م، ص30.

ينجح الكاتب في بناء شخصياته بناء متكاملا باللّجوء إلى إحدى طريقتين تعرف إحداهما بالطريقة المباشرة أو التفسيرية وفيها يصور الروائي شخصياته من الخارج ويحلّل عواطفها ودوافعها وأفكارها وكثيرا ما يصدر أحكامه عليها[1]، أما الطريقة الثانية فتعرف بالطريقة غير المباشرة أو التمثيلية وفيها يقف المؤلف على الحياد ويسمح لشخصياته أن تكشف عن نفسها بواسطة الكلام والحركة ويجعلها تعبّر عن نفسها بما يضعه بأفواه الشخصيات الأخرى من تعليقات عليها وتمكن القارئ من المساهمة في الحكم على الشخصيات بدلا من الأحكام الجاهزة التي يفرضها المؤلف عليه.[2]

[1]- يُنظر، أحمد أمين ، النقد الأدبي ، ص123.

[2]-المرجع نفسه.

الفصل الأول

الفصل الأول

البناء الفني في رواية العلامة

ملخص الرواية

1- بنية الزمان

2- بنية المكان

3- لغة الرواية

– ملخص رواية العلامة:•

تناولت الرواية جزء من حياة العلاّمة "ابن خلدون" عندما كان مستقرا في القاهرة، حيث كانت تلك الفترة شديدة الضيق في حياته، وكان يعتمد على استرجاعاته إلى دار المقام الأول في دول المغرب وكان ذلك بمثابة استدعاء للتاريخ، وقدم كعلاّمة باعتباره جامعا لمعارف أدبية وتاريخية له نظرة نقدية في زمانه، كما قدّم لنا ملامح عن حياته الخاصة والاجتماعية، وأفكاره وآرائه وأسفاره وعلاقته بالحكام.

أشار بنسالم حمّيش في فاتحة الرواية بين ماضي الأمة العربية الإسلامية وبين حاضرها، لأنّ ما تعرض له ابن خلدون عندما حاول الملوك والسلاطين أن يجعلوه تابعا لسياستهم ومؤيّدا لهم، هو نفس الشيء الذي نراه اليوم في حياتنا الحاضرة في العلاقات بين المثقفين والشخصيات التي لها وزن علمي ومعرفي في الوطن العربي وتباعيتها للسلاطين، فمن خلال هذا يرى الروائي "بنسالم حميش " بأن التاريخ يعيد نفسه، فما حدث في الماضي يحدث الآن.

تنقسم الرواية إلى فاتحة وثلاثة فصول وتذييل، الفاتحة يرويها الراوي بالخطاب السردي المباشر ويقدم فيها الشخصيات الأربعة: عبد الرحمان ابن خلدون، شعبان خادمه، حمو الحيحي الذي أصبح كاتبه، وأم البنين زوجة حمو سابقا ولاحقا زوجة ابن خلدون بعد ممات حمو. أما الفصول الثلاثة تبدأ من الفصل الأول الذي يحمل عنوان: "الإملاء في الليالي السبع "، الذي يتشكل من سبعة فصول فرعية فهي ليالي الأشهر الهجرية من صفر حتى شعبان، فكان يتلو فيها ابن خلدون على كاتبه حمو آرائه في السياسة والمجتمع والأحوال العامة.

أما الفصل الثاني عنوانه "بين الوقوع في الحب والحصول في ظل الحكم"، فهذا الفصل يكون الإطلالة الوحيدة على قصة حب ابن خلدون مع أرملة حمو الحيحي أم البنين، التي أصبحت زوجته بعد عودته من الحج، وفي هذا الفصل تولى أيضا مناصب هامة عديدة.

•رواية العلامة هي من أعمال الروائي "بنسالم حميش " المغربي الجنسية، نشرت سنة 2003، ط1، الشركة الدولية للطباعة، تتكون من 292 صفحة، وهي رواية يمتزج فيها الواقع بالخيال، وذات طابع اجتماعي تاريخي.

أما الفصل الثالث الذي يحمل عنوان "الرحلة إلى تيمور الأعرج جائحة القرن"، فقد ذكر فيه الأحوال العامة والخلافات بين أهل الحكم والمماليك، واقتراب خطر تيمور من مصر، وسعي ابن خلدون في البحث عن مكامن قوته وأسباب انتصاراته، كما أنه قدم النصح للملك برقوق ليقترب من سلاطين المغرب، وفي آخر الرواية "تذييل"، وقد ذكر فيه الوضع الشخصي العائلي لابن خلدون الذي مات وحيدا بين يدي خادمه الأمين شعبان، بعد أن عادت زوجته إلى المغرب التي كان من المفترض أن يلحق بها بعد إكمال أعماله في مصر.

تقديم:

يجسّد الفن الروائي مشاغل الحياة ومشاكل الناس، لهذا نجده يتصف بالمرونة، فهو فن قابل للتطور والتغيير والتجديد باستمرار، والفن الروائي فن مميز كونه يربط دائما بين الواقع والخيال، حيث أنه يستطيع أن يستلهم الحدث من أجناس أخرى واستثمار المذكرات واليوميات والأساطير والتاريخ.

تتميز الرواية الفنية بأنها تستند في بناء الأحداث على الوقائع باعتمادها على التجربة الذاتية خاصة، وبأنها تولي الحسّ الإنساني اهتماما كبيرا، بحكم أن الرواية الفنية نثر واقعي في ذاتها، ما يمنح عناصرها الأساسية مصداقية، من بناء الحدث إلى رسم الشخصيات وتشابك العقدة، فإنتاج رواية فنية يتطلب الإحاطة بالظروف والسياق العام الذي يربطها بالواقع، كزمان ومكان وقوع الحدث، ويعتبر السرد من أبرز الوسائل الفنية التّي تحدد نجاح العمل الروائي أو إخفاءه، فإجادة الروائي لأساليب السرد المعبرة عن موضوعه تزيد من حظه في النجاح، ودراستنا لمكونات السرد تحتم علينا التعرف على مفهوم هذا المصطلح وأنماطه، ومكوناته.

السرد: لغة هو "تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه في أثر بعض متتابعا "[1] . وجاء في معجم اللغة العربية المعاصرة "حكاية الأحداث بحيث يتصل بعضها ببعض مع مراعاة التسلسل الزمني لحدوثها"[2]، وقد وردت لفظة السرد في القرآن الكريم في قوله تعلى :﴿أن عمل سابغات في السرد ، واعملوا صالحا، إني بما تعملون بصير[3]﴾، أما معناه في

[1]-ابن منظور: لسان العرب، مادة (س،ر،د) المجلد السابع ، دار صادر بيروت، ص 165.

[2]-احمد مختار عمر بمساعدة فريق لعمل: معجم اللغة العربية المعاصرة ، عالم الكتب ط1، القاهرة، 2008م، ص 1055.

[3]-سورة سبأ، الآية 11.

الاصطلاح هو "متوالية من الأحداث والأفعال الكلامية تربط وتتركب مكوناتها عبر الانسجام أو عبر التفكك، أو عبر التداخل بحسب رغبة الكاتب وما يشترطه منطق ونظام الخطاب ، وزمن الأفعال و الأحداث [1].

يرى عبد المالك مرتاض أن أصل السرد في اللغة العربية "هو تتابع الماضي على سيرة واحدة، ثم أصبح يطلق في الأعمال القصصية على كل ما خالف الحوار ثم لم يلبث أن تطور مفهومه في الغرب إلى معنى أشمل وأهم، بحيث أصبح يطلق على النص الحكائي أو الروائي أو القصصي، فكأنه الطريقة التّي يختارها الراوي ليقدم بها الحدث إلى المتلقي ."[2]

وعليه فإن فعل السرد لا حدود له، إذ يتسع ليشمل مختلف الخطابات، سواء كانت أدبية أو غير أدبية يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان، ويصرح **رولان بارت** قائلا: "يمكن أن يؤدي الحكي بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو كتابية، وبواسطة الصورة، ثابتة أو متحركة، أو بواسطة الامتزاج المنظم لكل هذه المواد، إنه حاضر في الأسطورة، والخرافة والأمثولة، والحكاية والقصة والملحمة والتاريخ، والمأساة والدراما والملهاة والإيماء واللوحة المرسومة في الزجاج المزوق والسينما والنشاطات والمنوعات والمحادثات"[3]، أي أنّ السّرد يرتبط بأي نظام لساني أو غير لساني، وقد قدم العرب منذ أقدم العصور أنواعا وأشكالا سردية مختلفة، حيث تضمن السّرد الخطاب اليومي والشعر ومختلف الخطابات التّي تم إنتاجها .

يميز الشّكلاني الروسي "توماتشوفسكي " بين نمطين من السّرد، سرد موضعي وسرد ذاتي، فالسرد الموضعي أسلوب تقليدي استعمله القدماء في قصصهم لكنه أكثر حضورا في الرواية العربية، ويكون الكاتب في هذا النوع من السرد مطلعا على كل أفكار الأبطال، وبذلك يكون مقابلا للراوي المحايد الذّي لا يتدخل ليفسّر الأحداث، إنما ليصفها وصفا محايدا كما يراها أو كما يستنبطها في أذهان الأبطال ولذلك يسمى هذا السّرد موضعيا لأنه يترك الحرية للقارئ ليفسّر ما يحكي له ويؤوله، ونموذج هذا الأسلوب الروايات الواقعية[4]، أما السرد الذاتي فهو عندما تقدم الأحداث من زاوية نظر الراوي، ويخبر بها ويعطيها تأويلا معينا يفرضه على القارئ، ويدعوه إلى الاعتقاد به، نموذج هذا الأسلوب

[1]–محمد معتصم، المرأة والسرد، دار الثقافة ط4،المغرب، 2004م ، ص182

[2]–عبد القادر بن سالم، السرد وامتداد الحكاية، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1،الجزائر، 2009م، ص 12.

[3]–سعيد يقطين، الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1997م، ص 19.

[4]– ينظر، حميد الحمداني:بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 47.

هو الروايات الرومانسية أو الروايات ذات البطل الإشكالي[1]، ولقد كان تأثر الرواية العربية بهذا الأسلوب كثيرا، فنجد مثلا نجيب محفوظ في رواية اللصّ والكلاب ، الطاهر وطار في رواية اللاّز ، غسان كنفاني في رواية ما تبقى لكم، إلاّ أن هذا السّرد لا يسمح للشخصية بالبوح بما يختلج في داخلها، بل تبقى أفكاره سجينة نفسها، ولأن بناء الحدث والشخصية يعتمدان على طريقة الراوي والرؤية التّي يقدمها للقارئ فضلا عن علاقة الراوي بالشخصية نفسها "فهو يستطيع أن يبني أحداثه وشخصياته من منظور ذاتي من خلال وعي شخص ما أو عدة أشخاص، أو أن يعرض الأحداث والشخصيات من منظور موضعي ... وقد يذهب إلى استخدام الطريقتين في توافق وتوال"[2]. أي لا يشترط أسلوب واحد بل يمكن المزاوجة بين(الذاتي والموضوعي) وذلك لضرورة فنية تقتضيها رؤية الكاتب للكشف عن علاقات الشخوص بعضها ببعض.

1–بنية الزمن:

كان الزمن ولا يزال حتى الآن عنصرا مهما في الرواية، فهو محورها الذّي يستند كامل عناصرها ومركز الاستقطاب بما له من فاعلية جمالية وفنية ، من شأنها أن تبلور شعرية النص الأدبي " فعلاقتها به علاقة مزدوجة فهي تتشكل في داخل الزمن ، ومن ثم يصاغ الزمن في داخلها ، ويقدمها عن طريق اللغة المشحونة بإشاعات فكرية وعاطفية ". والفن الروائي فن زماني بالدرجة الأولى " إذ لا يمكن أن نتصور أحداثا تجري خارج الزمن ولا شخصيات متفاعلة مع محيطها خارج الزمن أيضاً"[3]، ومن هنا اكتسب الزمن مكانا مهما في الدراسات النقدية، نظرا لكونه بنية خطيرة في تأسيس العمل الروائي، وبات بمثابة الروح للجسد نشعر بها ولا نراها، السبب الذّي جعل الدكتورة سيزا قاسم تصفه "كأول عنصر يستحق الاهتمام لأن طبيعته هي الأكثر فعالية في تشكيل الرواية وبناءها "[4].

[1]–ينظر، حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 47.

[2]–صبحية عودة زعرب ، سيزا قاسم بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1بيروت ،1985م، ص140.

[3]–لحسن مزدور، مقارنة سينمائية في الشعر و الرواية، مكتبة الآداب،ط1،الأردن، 2005م، ص90.

[4]–سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، ص 34.

أشار هينري جيمس أيضا إلى صعوبة تناول عنصر الزمن وأهميته في البناء الروائي ويرى "أن الجانب الذّي يستدعي أكبر قدر من عناية الروائي (الجانب الأكثر صعوبة وخطورة)، هو كيفية تجسيد الإحساس بالديمومة وبالزوال وتراكم الزمن "[1].

وإذا كانت وقائع الحياة خاضعة لمختلف الحتميات الزمنية فإن الرواية لا تخضع لمثل هذه الصرامة ، فالزمن يعيش نوعا من الحرية داخل النص الأدبي يوظفه حسب مقتضيات البناء العام للرواية ، فبينما أولت الرواية التقليدية التي ظهرت في القرن التاسع عشر اهتماما بالتسلسل الزمني الطبيعي و الواقعي للزمن، وكذا الروايات القديمة التي تركز على مغامرات بطل أو مجموعة من الأبطال ، فإن الرواية الجديدة ليست مقيدة بهذا التسلسل، فالروائيون الجدد حطموا قداسة تسلسل الأحداث .

ويعلق **سعيد يقطين** بأن الرواية الجديدة حسب ما قدمها آلان روب "تقوم على إنكار التماثل بين الزمن الروائي والزمن الواقعي، فلا زمن إلا الحاضر زمن الخطاب الروائي، وبهذه الطريقة يحطم التصور الذّي ساد في الرواية حتى القرن التاسع عشر فلم يعد تسلسل الزمن ذا أهمية في البناء الروائي، وأصبح حاضرا مرتبطا بحركة الأشياء ".[2]

أولت الرواية المعاصرة اهتماما بالحاضر، حيث اتخذت من الشخصيات منطلقا لتسترجع الماضي عبر الذاكرة، ومنه تستشرف مستقبلها، وهذا ما نجده ماثلا في رواية العلامة، حيث استعان بنسالم حميش بشخصية ابن خلدون لاسترجاع الماضي ومقارنته بالحاضر.

يلعب الزمن دورا أساسيا داخل العمل السردي لأن الشخصيات الروائية لا تقوم بأدوارها في تحريك الأحداث إلا من خلال إطار زمني تتم فيه وتتحرك داخله « لاعتبارها الشكل التعبيري القائم على سرد أحداث تقع في الزمن فقط ولا لأنها كذلك فعل تلفّظي يخضع للأحداث والوقائع المروية لتوالي زمني ،وإنما لكونها بالإضافة لهذا وذاك تداخلا وتفاعلا بين مستويات زمنية متعددة ومختلفة ».[3]

[1]–م،ن، ص ،ن.

[2]–سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 66.

[3]– عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي ،مجلة فصول في النقد، ع2، مجلد 12، القاهر، 1993م، ص 129.

فنجد الأحداث في رواية العلامة قد رويت في زمن الحاضر، والمشكل لزمن السرد فيها أحداث عن شخصيات تاريخية كانت موجودة في الزمن الماضي المشكل لزمن الحكاية أو زمن الواقعة التاريخية، مما يوهم القارئ بأن الرواية ضرب من السيرة الذاتية ».[1]لأن لحظة كتابة رواية العلامة هو زمن السرد أما زمن الحكاية أو القصة هو زمن القرن السابع والثامن الهجري، إذ يقول: «وذلك بتعيين من السلطان الظاهر برقوق، سنة ست وثمانين وسبعمائة».[2]

- **المفارقات الزمنية :**

أ- **زمن الاسترجاع:**

هو استرجاع راوي السرد لأحداث سابقة فهو كل« ذكر لاحق يحدث سابق النقطة التي نحن فيها من القصة »[3]،وهذا يعني العودة إلى حدث وقع في الماضي قبل الحدث الذي يروي عنه في الحاضر ،وهذا ما نجد في رواية العلامة ،حيث الراوي قام باسترجاع حادثة مؤلمة جرت في زمن الماضي وهذا ما نجد في المقطع: «أواسط سبعة وثمانين ،مصاب جلل لم يكن في الحسبان ،إذ غرقت أسرته الصغيرة في البحر ،بعد أن نفعت شفاعة السلطان برقوق إلى أبي العباس في تخلية سبيلها وبعثها إلى ربها ».[4] فهنا عودة الراوي إلى الماضي ما هو إلا استذكار لحدث ماض ،ونفهم ذلك من خلال المؤشرات الدالة عليه مثل ذكره لتاريخ حدوث هذه الحادثة، حيث نجد أيضا استرجاع حادثة أخرى في مقطع آخر :«سيدي العالم الأعظم والقاضي الأعدل ... منذ أكثر من عامين زرتك مع وفود معزيك في وفاة أسرتك الصغيرة...»[5].

والاسترجاع باختصار هو استحضار الماضي في الحاضر ،كما هو« عملية سردية تتمثل في إيراد السارد حدثا سابقا ،إذ يعود راوي الحديث إلى رواية الأحداث الماضية التي وقعت قبل أحداث الرواية»[6] ،كما نجد هذا المقطع :« حتى إذا حلت سنة خمس وستين وسبعمائة، كلفني الأمير بسفارة وهدية معتبرة إلى الطاغية ملك قشتالة، بطره بن

---

[1]-ينظر يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، ط1، 1990، ص 90.

[2]- الرواية،ص 10.

[3]-جيرار جونيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر : معتصم عبد الجليل الأردني، عمر علي، المجلس الأعلى، ثقافة، ط2، 1997م، ص38، 39.

[4]-الرواية،ص 12.

[5]- الرواية، ص 18.

[6]-جبران خليل جبران، الأجنحة المنكسرة ، (دط)، دار الضئيل للطباعة والنشر، حي سي اسماعيل، برج الكيفان، (دت)، ص10.

الهنشة بن أدفونش ، باشبيلية مدينة أجدادي .»[1] هذه الرواية حافلة بالاسترجاع كما نجد في مقطع آخر :« أذكرك بواحدة منها حتى تعتبر : إنها تلك التيّ رواها ابن بطوطة في حضرة السلطان أبي عنان عن كرم ملك الهند محمد شاه ابن تغلق تجاه رعيته ، وهو كرم خارق للعادة، بحيث كان إذا سافر أحصى سكان دلهي ، ورصد لهم من ماله الخاص رزق نصف عام »[2]. وفي مقطع آخر :« فهنا إن نسيت فلن أنسى مصادمتي مع الحضري المتفنن في أساليب التآمر والخداع والتمويه أما هناك إن نسيت فلن أنسى معاناتي مع الأعرابي المكشوف أو المتستر تحت عباءة أمير أو وزير أو فقيه ».[3] فهنا نجد عبد الرحمان قد استذكر موقف من حياته في الماضي ، يصعب له نسيانه لشدة معاناته منه .كما نجد أيضا في الرواية :« أتذكر كلام الطلبة الذين قيل لي من بعد إنهم من الكنازة ، ولا أتذكر بم أجبتهم وقت ذاك، وفي الأسبوع الموالي وصلتني ورقة يقول مقطعها الأساس...»[4].

كثرت المواقف والحوادث التيّ استرجعها الروائي في هذه الرواية، فيقول في مقطع آخر مخاطبا حمو: «رأيت يا حمو، ما يعجز اللسان عن وصفه، رأيت المقابر مكتظة متخمة لا تحدها الأبصار، رأيت المدينة خلاء مقفرا لا تعمره إلا الجثث المتراكمة المتفسخة ، ولا تحظر فيه سوى أشباح آدمية يائسة متهدمة».[5]

وظّف الروائي هذه الاسترجاعات حتى يعود إلى الماضي ليبرز مواقف أو يوضح ماضي الشخصيات ،أو يبرز مراحل أغفلها السرد، أو قد تكون لسد الفراغ وملئ الفجوات التيّ يخلفها السرد في المتن الروائي .وبطبيعة الحال تخلق بعدا فنيا جماليا خالصا .

ب–الاستباق أو "الاستشراف":

يعد الاستباق من الحيل الفنية، وتقنية من التقنيات السردية التيّ يلجئ إليها المبدع قصد كسر الترتيب الخطي الزمني وخلق حالة انتظار لدى المتلقي، والاستباق تقنية زمنية أشار إليها جيرار جونيت، «الاستباق على كل حركة سردية

[1]–الرواية، ص45.
[2]–الرواية، ص 39.
[3]–الرواية، ص 49.
[4]–الرواية، ص 82.
[5]– الرواية، ص 90.

تقوم أن يروي حدث لاحق أو يذكر مقدما ».[1]ويقصد بذلك إيراد السارد الأحداث المستقبلية المتوقعة واستباقها في زمن الحاضر .

هذا ما أكده حسن بحراوي بقوله الاستشراف هو :« القفز على فترة ما من زمن القصة وتجاوز النقطة التّي وصلها الخطاب لاستشراف مستقبل الأحداث والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات في الرواية »[2]. فهو بذلك التحريف الزمني الذّي يستدعيه الكاتب لتحقيق المتعة الروائية داخل البناء السردي . وذلك بهدف تشويق المتلقي وترك له أثر لما سيحدث من أحداث مستقبلا. يتضح لنا ذلك من خلال الرواية في هذا المقطع:« سيأتي يوم يا حمو، إن أطال الله العمر، أحكي لك فيه بعض محطات حياتي من زاوية قلائلي وأتعابي»[3].فهذا يوضح أن ابن خلدون في المستقبل سيحكي له عن موقف من حياته، فهذا سيخلق انتظار وتشويق للمتلقي . يمكن أن يكون الاستباق على شكل أحلام أو أوهام لم تحصل بعد ، فقد ورد هذا الأخير في المقطع :« سجل أني حلمت مرات نائما أو يقضا ، بالزرزور وقد حلت روحي فيه ، فطارت حاملة الزيتون تلو الزيتون إلى أفواه البطون الجائعة على امتداد قطري »[4]. وفي مقطع آخر رأى عبد الرحمان حلما ثانيا حيث قال :« رأيت البارحة فيما يرى النائم ، أني في إحدى مدن المماليك أجالس الغازي الأعظم ، الأمير تيمور سلطان المغول والتتر ، وأناظره في أشياء »[5]. فهذه الأحلام تشير إلى أحداث لم تحصل بعد في الحقيقة، فقد وظفها السارد في الرواية لخلق حالة انتظار وكسر ترتيب الأحداث المعتادة، «كما يقوم الراوي باستباق الحدث الرئيسي في السرد بأحداث أولية تمهد للآتي وتومئ للقارئ بالتنبؤ واستشراق ما يمكن حدوثه، أو يشير الراوي إشارة أولية تعلن صراحة ما سوف يقع في السرد »[6]. أي أن الراوي يسبق لنا الأحداث قبل حدوثها ويتوقعها في المستقبل ،ويمكن أن تكون على شكل :« هل الإعصار المغولي وشيك الوقوع ؟»[7]، فهذا السؤال عبارة عن توقع وقوع حدث ما في المستقبل، ونجد استباق آخر في قوله: «وذات مرة وهو يهيئ ركوبها فوق ظهره ، أدرك

[1]–جيرار جونيت، خطاب الحكاية ، ص51.

[2]–حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 132.

[3]–الرواية، ص 49.

[4]–الرواية، ص 33.

[5]–الرواية، ص 99.

[6]– مهما حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،بيروت، 2004م، ص 211.

[7]– الرواية، ص 235.

بوعي حاد أن أفدح مصيبة يمكن أن تنزل به هو أن تتعرض ابنته وزوجته لشر ما »[1]. فهذا يعني أن عبد الرحمان خائف من حدوث أي مكروه لأسرته في المستقبل، وفي مقطع آخر نجد :« ...هي رسالة واحدة موجزة في نسخ عدّة أخبرت فيها زوجتي بأني مازلت حيا أرزق ، وأن أمنيتي الأغلى أن ترجع إلي قريبا برفقة الصبية».[2]فهنا نجد أن لديه أمنية يأمل أن تتحقق في المستقبل وهي عودة أسرته الصغيرة إليه بعد غياب طويل.

تعددت الاستباقات في رواية العلامة ، فلها أهمية كبيرة من الناحية الجمالية والإبداعية ، فهي تبعث في نفسية القارئ التشويق لمعرفة كل ما هو قادم وبث روح الفضول .

2- بنية المكان:

يعتبر المكان عنصرا أساسيا في الحياة الإنسانية، فهو يوثق من صلة الأنا بالعالم الخارجي، كما أنّ له أهمية خاصة في تشكيل العالم الروائي ورسم أبعاده، ويعد "من أهم المحاور الروائية المؤثرة في إبراز فكرة الكاتب، وتحليل شخصياته النفسية لأن إدراك الإنسان للمكان مباشر وحسي، وصراعه معه ما هو إلا تأكيد لذاته، وتأصيل لهويته، فبقدر إحساس الإنسان بالمكان تكمن أهمية وجوده ، ولا نجا في الحقيقة إذا قلنا أن المكان يضيق بحياة الإنسان مثل الزمان تماما ، لأن وجوده في المكان يستمر معه طوال عمره، فلا تكتسب الذات أهميتها إلا من خلال تفاعلها مع المكان الموجودة فيه "[3].

وللمكان الروائي أهمية بالغة في تشكيل الخطاب الروائي، وعليه فقد ميز النقاد البنيويون بين المكان الروائي والمكان الواقعي، فالمكان الواقعي هو المكان الحقيقي الموجود خارج العالم الروائي التخيلي، أما المكان الروائي فهو المكان المتخيل الذّي يوجد داخل العالم الروائي وهو لا يتشكل إلا باللغة وعلاماتها "فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانا خياليا فيه مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة [4].

[1]- الرواية، ص 187.

[2]- الرواية، ص 274.

[3]-غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، ط1، ، عمان، الأردن،2006، ص 95 .

[4]-سيزا قاسم ، بناء الرواية، ص100.

يرى(**شارل غيفر**) أن للمكان أهمية كبيرة "فالمكان الروائي هو الذّي يكتب القصة حتى قبل أن تسطرها يد المؤلف "[1]. ويؤكد هنري متران هذا القول " بأن المكان هو الذّي يؤسس الحكي، لأنه يجعل القصّة المتخيلة ذات مظهر ماثل لمظهر الحقيقة [2]، وفي الإطار نفسه حول التأكيد على أهمية المكان يرى **حسن بحراوي** أن "تعيين المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التّي تدعم الحكي وتنهض به في كل عمل تخيلي "[3]، فالمكان يحدد طبيعة الشخصيات وإحداثيات تحركها ، هذا ما جعل **غاستون باشلار** يعتبر أن العمل الأدبي "حين يفتقد المكانية ، فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته "[4]، ومن هنا بدأت تظهر أهمية المكان الروائي وتجاوز النقد البنائي نظرته التقليدية إلى المكان بوصفه إطار للأحداث إلى مكون فعال يؤثر ويتأثر في باقي المكونات كالشخصية و الحدث، وبظهور الرواية الجديدة مع آلان روب غربيه لم يعد مجرد إكسسوار بل أصبح يعبر عن حالة سردية، غير أن هذه الأهمية تتفاوت من أديب إلى آخر، ومن عمل إلى آخر. وينقسم المكان الروائي إلى أماكن مفتوحة وأماكن مغلقة.

يعد المكان من ضروريات البناء السردي فهو «مكونا محوريا في بنية السرد، بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان، فلا وجود لأحداث خارج المكان ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين»[5]، أي أنه لا يمكن لأي رواية أن تكون دون وجود عنصر المكان فيها، فكل الأحداث الموجودة في الرواية لها علاقة بهذا العنصر، ونجد أن المكان يكسب أهميته من خلال معايشة البطل للأمكنة والأحياء التي تمد له بالصلة سواء من قريب أو من بعيد فهو مثله مثل العناصر الأخرى كالشخصيات والزمن، ولا يمكن أن نفصله عنهما، وقد يتّخذ المكان ويتضمن معاني عديدة بل إنه قد يكون في بعض الأحيان الهدف من وجود العمل كله ».[6]

- **أنواع الأمكنة في رواية العلامة:**

[1]–حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص 65.

[2]–م ، ن ص ن.

[3]–حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن ، الشخصية)، ص 29 .

[4]–شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص 14.

[5]– محمد بوعزة ،تحليل النص السردي ،ص99.

[6]–حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي ،ص32.

يربط بين المكان والرواية علاقة متكاملة إذ أنه لا يمكن لهذه الأخيرة أن تكون دون حضور المكان الذي تتمحور فيه الأحداث و يعمل على تحويل الأيقونة السردية إلى الأيقونة البصرية، ويمكن تمييز الأمكنة من خلال النوع إلى أمكنة عمومية وأمكنة خصوصية، تتمثل الأولى في أماكن الانتقال والثانية في أماكن الإقامة، فقد ميّز حسن بحراوي بينهما بقوله :«أما أماكن الانتقال فتكون مسرحا لحركة الشخصيات وتنقلها وتمثل الفضاءات التي تجد فيها الشخصيات نفسها كلما غادرت أماكن إقامتها الثانية مثل الشوارع والأحياء والمحطات وأماكن لقاء الناس بيوتهم كالمحلات والمقاهي».[1]

يبرز في رواية "العلامة" نوعين من الأمكنة: مغلقة ومفتوحة:

1- الأماكن المغلقة:

هي الأماكن المحدودة التي لا يتجاوز فيها الفعل إطار المحدد، تتميز بعلاقات الألفة والدفئ والأمان، في حين آخر تحمل معنى الوحدة والضيق والخوف، حيث :«تؤدي الأمكنة المغلقة دورا محوريا في الرواية فهي تتفاعل مع الأمكنة المفتوحة بايجابياتها وسلبياتها، فتعدوا هذه الأمكنة المغلقة مليئة بالأفكار والذكريات والآمال والترقب وحتى الخوف، فالأماكن المغلقة تولد المشاعر المتناقضة المتضاربة في النفس، وتخلق لدى الإنسان صراعا داخليا بين الرغبات وبين المواقع وتوحي بالراحة والآمان، وفي الوقت نفسه لا يخلو الأمل من مشاعر الضيق والخوف لاسيما إذا كان المخلق هو السجن أو ما شابهه».[2]

نلاحظ في رواية العلامة تنوع الأماكن المغلقة بشكل بارز، منها:

1- البيت:

يعتبر هذا المكان الموطن الأول للإنسان ففيه يمكن أن يحكي كل أسراره وما يتعلق بحياته بكل ارتياحية باعتباره مكان شخصي وسرّي مغلق يخلق فيه الطمأنينة والآمان، يقول محمد بوعزة عن البيت «يمثل البيت كينونة الإنسان الخفية أي

[1]- حسن بحراوي، بنية الشكل الشكلي،ص40.

[2]-حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، (دراسة نقدية)، مركز أوقاريت الثقافي،ط1، فلسطين، 2006م، ص134.

أعماقه ودواخله النفسية ،فحين نتذكر البيوت والحجرات فإننا نعلم أننا نكن داخل أنفسنا، في البيت ينطوي الإنسان على نفسه لأنه يمنحه شعورا بالهناءة والطمأنينة والراحة »[1]، فالبيت هو أعمق مكان يعيش فيه الإنسان ذكرياته السعيدة والحزينة مع أفراد أسرته سواء قلت أو كثرت ، فنجد في الرواية هذا المقطع: «عدنا إلى منزلنا على جناح السلامة ...تهاويت على أريكتي متخلصا من سلهامي وبلغتي ».[2]

ونجد أيضا في هذا المقطع: «تناولنا وجبة الإفطار ،وعاهدت نفسي على لزوم بيتي أياما حتى أبقى قريبا من أم البنين وحملها وقريبا من كتبي وأوراقي»[3]، وهذا دليل على أن البيت مصدر للأمان والاطمئنان والترابط الاجتماعي والإحساس بالراحة من ضغوطات العمل ،ذُكر في الرواية أيضا أنه يمكن اعتبار البيت مصدر للعزلة حيث نجد ابن خلدون في الرواية أن البيت بالنسبة له أداة للهروب و العزلة على جميع الناس ومتاعب الحياة وضغوطات العمل ،إذْ كان العلامة يجد راحته النفسية في هذا المكان المعزول المطل على نهر النيل، ويملي على كاتبه حمو الحيحي كل المتاعب التي مرّ بها خلال فترة الحكم و نجد ذلك في الرواية :«فاعتزل في بيته القريب المطل على النيل لا يدخل عليه الناس في كل يوم».[4]

لكن في نفس الوقت نجد بعض الناس يرون بأن البيت مصدر للوحدة والإحساس بالملل و الضغط نجد مثالا على ذلك في الرواية عند أم البنين فقد قالت :«سيدي القاضي البقاء في البيت وحدي يعييني والخروج منه يفرّج عن نفسي»[5]،وهذا يفسّر لنا أن البيت لا يكون فقط مكان آمن للسعادة والطمأنينة إنما يمكن أن يكون مكان يسكنه الضغط والضيق وعدم الإحساس بالراحة النفسية.

2- المكتب:

يعتبر هذا المكان من الأماكن المغلقة المؤقتة التي يمكن أن يشعر المتحدث فيه بكل راحة بال ويؤدي عمله بكل سهولة إذ أنه مكان شخصي خاص بكل إنسان، لا يمكن للغير الدخول إليه إلا بأخذ الإذن، مما يجعل الشخص

[1]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي،ص105.
[2]- الرواية، ص139.
[3]- الرواية، ص150.
[4]- الرواية، ص12.
[5]- الرواية، ص19.

يشعر بالأمان فيتحدث بكل إرتياحية و طلاقة، حيث يأوي عبد الرحمان إلى مكتبه للقاء كاتبه أين كان يملي عليه كل انشغالاته وأفكاره :«كانت لقاءات عبد الرحمان بكاتبه تتم غالبا في غرفة مكتبه بمنزله المتواضع، مكتبه الذي أثّثه على الطريقة المغربية مع إضافة رفوف ومرافع على الحيطان تأوي ما عزّ من كتبه».[1]

كما نجد العلامة يجتمع في مكتبه كلما تشتتت أفكاره وتبعثرت كلماته فيجلس مقابلا كتبه المصفاة في الرفوف فيسترجع أقواله ،ويبني معلوماته ،استنادا على الكتب الموجودة فيه ،فنجد هذا في الرواية «عدت إلى مكتبي مشتّت الذهن ،قارئا اللطيف تلو اللطيف دفعا للأحاسيس والهواجس القاتمة»[2]

3- القصر:

القصر من الأمكنة المغلقة وهو يرمز إلى الفخامة إذ أنه يعد «:أفخم أنواع البيوت حيث الرقي المادي ودرجة الرفاهية» .[3] هذا المكان المليء بالأنوار المختلفة التي تضيء أفكار المتحدث وتنير معلوماته ،ففيه تتوفر كل مستلزمات الراحة مما يدفع الشخص أن يسرد كل معلوماته ،ويتحدث عن جميع أحاسيسه ، وقد برز هذا في الرواية :«دهاليز و أفنية خفيضة أو عالية قطعتها بخطوات كسلى ،فبدا لي مرة ظاهر القصور بالحجر الأسود والأصفر، وطالعتني مرة قباب شامخة خضر أو صفر... كنت أحاذيها أحثّ الخطو بحثا عن فضاء يريح الخاطر والقلب ،وأظن أني وجدت ضالتي المنشودة في جناح من أحد القصور، استرحت جالسا في أفسح بيوته وأوعبها للأنوار الحبلى بشفق المغيب، كانت هذه الأنوار تنفذ من الزجاج القبرصي الملوّن في الطاقات المتعددة الأشكال ، فتنعكس على مرايا رخام الأرض، على الحيطان والسقوف العالية المزيّنة بالفص والصدف والذهب و اللاّزورد»[4]،وبعدها سأل عبد الرحمان عن القصور التي تعجب منها قائلا: «سألت الغلامين عن القصر لمن يكون ،فهمهما بكلام لم أفهمه ،وغاب أحدهما لحظة ... فقال بأن القصر كان من قبل لأحد الأمراء الطبلخانات وصار اليوم قصر ضيافة الأعيان والوجهاء».[5]

---

[1]-. الرواية، ص29

[2]- الرواية، ص155.

[3]-نبيل حمدي الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة، ص 31.

[4]-الرواية، ص109.

[5]- الرواية، ص109.

وقد ذهب إليه عبد الرحمان ابن خلدون عندما تسلم مرسوم تعيينه لتدريس الحديث، ما يدل بأن القصر مكان للفخامة ولأصحاب الشأن والهمّة ،فقد ورد هذا في الرواية فقال: «سلمني كتابا مختوما قال لي إن رسولا أتى به من قصر السلطان ،فتحته فإذا هو نسخة من مرسوم تعييني في تدريس الحديث بالمدرسة الصرغتمشية».[1]

4- السجن:

السجن من بين الأماكن المغلقة المحروسة والصعبة أين يكون الشخص مقيّد وعديم الحرية ،فهو يحرم الإنسان من الإبداع .فنجد في الرواية دخول ابن خلدون إلى السجن ،وأمضى فيه أيام قاسية جدًّا ،رأى موته أمام عينيه ،وقد لازمه الخوف والهلع ونمثّل ذلك في هذا المقطع :«ولعل أفدح هذه المرات وأقربها إلى التحقيق كانت لي أثناء حبسي في زنازن السلطان أبي العنان المريني ،كما فات ذكره فو الله يا حمو لقد أيقنت وقتذاك أني لا محالة هالك»[2].عند تولي ابن خلدون منصب القضاء قام الحاجب بعزله وإدخاله السجن لمدة أسبوع ظلما، ويرجع ذلك إلى انتقاده لطريقة حكمه والقرارات التي يتخذّها ، إذ يقول: «فدفعوا الحاجب إلى عزله وحتى الزج به في زنزانة بحبس القلعة مدة أسبوع وخلال هذه المدة سمح له بالقراءة وباستقبال خادمه شعبان»[3].

مرّت على ابن خلدون أيام صعبة وكأنها أعوام طويلة، لكن ذلك لم ينسه في التفكير بأحوال مصر وأهله، «في السجن لم يفكر العلامة في سوء حاله بقدر ما فكّر في علامات تصدع الصف المصري وتوافر حظوظ الانقضاض المغولي ».[4]لكن دخول عبد الرحمان إلى السجن لم يبعده عن الكتابة والقراءة وحيطان السجن تشهد على ذلك، ونجد ذلك في قول الكاتب :«عند موفى الأسبوع أُمر عبد الرحمان بمغادرة السجن والإقامة في بيته واحتفظت الزنزانة في أحد حيطانها ببيت شعر مخطوط نقشا بيد نزيلها».[5]

مرّ ابن خلدون بتجربتين مريرتين في حياته، فقد كان يروي لكاتبه حمو الحيحي أن التجربة الأولى أثناء دخوله السجن كانت بالنسبة له مفخرة واعتزاز والثانية كانت ظلما واحتقارا ،وذلك لقوله: «السجن الذي عرفته قبيل إيابك في

[1]- الرواية، ص156.
[2]- الرواية، ص87.
[3]- الرواية، ص208.
[4]- الرواية، ص208.
[5]- الرواية، ص209.

نظري صنفان :سجن مفخرة وسجن إذلال ومسكنة، الأول عشته أيام شبابي طوال عامين ،والثاني ابتليت به ظلما وعدوانا».[1]

5- المسجد:

يمثل المسجد الحياة الروحية التي تقوي الروابط الدينية الربطة بين العبد وربه ،فيفتح على الناس كمكان للعبادة يجتمعون فيه لأداء الفريضة والتزود من أجل مواجهة ظروف الحياة الصعبة ،حيث يعتبر المسجد فضاء يساهم في بناء الرواية ويُشكل إلى جانب الأماكن الأخرى بناء المكان العام ،فقد برز مكان المسجد في الرواية نجد ذلك في هذا المقطع :«كنت أقضي ساعات أيامي بين بيتي والمسجد وبين الخانقاه والمدرسة»[2]،كان ابن خلدون يقضي معظم أوقاته في أداء الفروض والنوافل وذلك يجعله مرتاحا نفسيا بسبب الظروف التي يواجهها كل يوم.

نجد في الرواية زيارة ابن خلدون للمسجد الأقصى ،فقد كان حلمه زيارة هذا المسجد العظيم وحنينه إليه منذ القديم ،وذكر في الرواية هذا المقطع: «وهكذا حقق حلمه القديم بالصلاة في المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الذي بارك الله حوله ،وكان محط إسراء النبي عليه السلام ومصعد معراجه إلى السماء في هذا المسجد المفتوحة جلّ سقوفه على فضاء الله ،كما في باقي رحاب القدس المحروسة أسوار صلاح الدين بن أيّوب ،شعر العلامة عبر حواسه الخمس بانجذاب لطيف نحو التجرد والتعالي، وبرغبة خفاقة أكيدة في التحليق الروحاني ،وفكّر أنه لو لم يكن متأهّلا ومربوطا بالأرض لاعتصم بجوار المسجد الفسيح عابدا ،قانتا ،متأملا بين مجلس داود ومصلى أيوب ومحراب مريم ومتعبّد زكرياء عليهم السلام جميعا ».[3]

صلى ابن خلدون جميع صلواته والنوافل كلّها، فقد أثّر فيه هذا المسجد العظيم الذي يتمنى جميع المسلمين الصلاة فيه ، ذكر الكاتب ذلك في الرواية :«صلى الزائر الفروض والنوافل في المسجد ،ونزل على الغار المهيب مترجما كثير الانفعال والتأثر».[4]

---

[1]- الرواية، ص211.

[2]- الرواية، ص196.

[3]- الرواية، ص205.

[4]- الرواية، ص206.

6- المدرسة:

تعد المدرسة البيت الثاني للإنسان ،أين يتعلم ويكسب معارف جديدة ،ويعمل على تطوير مستواه في مختلف المجالات والميادين. تطرّق الكاتب في هذه الرواية لذكر المدرسة أين تم تعيين ابن خلدون فيها وذلك لتدريس الطلبة و نرى ذلك في هذين المقطعين :«ثم اعتصمت بمصنف مالك أعد حوله درس اليوم بين صلاة العصر وصلاة المغرب في مدرسة ولايتي الجديدة».[1]«السلطان برقوق عيّنني مدرّسا في مدرسة كبرى بجوار جامع أحمد بن طولون الذي تعرفينه ،جاءني قرار تعييني في صباح هذا اليوم السعيد الذي رزقنا فيه هذه الطفلة الميمونة ».[2]

عمل ابن خلدون على تقديم الدروس في علم الفقه للطلبة ،ودفع الجمل عنهم ونجد ذلك في الرواية: «انصرف اهتمام عبد الرحمان إلى طلبته بالمدرسة العادلية التي أنزل بها ،فصار يلقي عليهم دروسا في فقه المذاهب الأربعة من دون أن يتوقف في كسر ذهولهم عنها».[3]

2- الأماكن المفتوحة:

تؤدي الشخصيات دورها في الرواية بكل ارتياحية وذلك من خلال انفتاح الأمكنة عليها وتمكنها في الانتقال بين الأماكن ،وتعبر عن مكوناتها الداخلية بكل حرية وحيوية ،فالأماكن المفتوحة «هي الأمكنة التي توحي بالاتساع والتحرر بمعنى لا يخلوا الأمر من مشاعر الضيق والخوف بل بالانطلاق والحركة والحرية وهي ترتبط بالأمكنة المغلقة ارتباطا وثيقا حيث يعتبر الإنسان حلقة وصل بينهما »[4]،«فالمكان المفتوح حيز مكاني خارجي لا تحده حدود ضيقة، بشكل فضاء رحبا، وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق»[5]،أي أن الأماكن المفتوحة هي الأماكن التي ليس لها حدود تحدها أو شكل هندسي يحكمها، فنجد من الأماكن التي ذكرت في الرواية:

1- السطح:

[1]- الرواية، ص157.

[2]- الرواية، ص158.

[3]- الرواية، ص215.

[4]- ينظر: شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1،1994، ص166.

[5]- أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، ص51.

لكل بيت سطح خاص به، فهو يبعث في النفس الانشراح والسعادة، الهدوء والهواء والنسيم اللطيف، يأوي إليه كل شخص أراد راحة البال، ففي هذه الرواية نجد أن عبد الرحمان يعتبر السطح من أهم الأسباب التي تجعله يلازم بيته، فقد كان يجلس فيه مع كاتبه صبحة وعشية مُطلا على نهر النيل مقابلا في الصباح نور الشمس، وفي الليل بريق النجوم ، وهذا ما كان يهبه هواءًا نقيًا ، يفسح له الطريق للإبداع الفكري ، ويدفعه لحب القراءة ، فقد كان يحس بالحرية ويمنح له الطمأنينة وحب البيت الذي يأويه: «فوق السطح حيث جلس على مصطبة مفروشة ، تتوسّطها شمعة ضخمة ، كان الطقس جافا دافئا ، والنيل يعكس بعض لآلئ السماء ، يتصدرها الكوكب الوضّاء ونجوم مشعّة متناثرة ، هذا السطح يا حمو ، لولاه لما قدرت على الإكثار من ملازمة بيتي طوال ثلاث سنين ،مقامي فيه بالعشي أو الليل ساعة أو ساعتين يهبني دوما هواء لطيفا ما أحوج نفسي إليه ،ويفتح لي ترعة على الكون ترحل بفكري إلى العناصر الأربعة وخالق كل شيء ».[1]

2- نهر النيل:

يعتبر نهر النيل من الأماكن التي يلجأ إليه الإنسان للترفيه عن النفس والإحساس بالراحة النفسية ،والشعور بالأمان والطمأنينة ،لهذا يلجأ إليه العديد من السياح للتنزّه والاستجمام.

لجأ ابن خلدون في هذه الرواية إلى نهر النيل سائحا راكبا في قاربه مع خادمه، مستلقيا لاقيا كل الهدوء والراحة مقابلا نجوم الليل ونرى ذلك في قول الكاتب :«ذات ليلة ربيعية مروقة من بيته وتنقله بين محطاته المفضلة ،ليلة مقمرة ذات بشر مضيء ، خطر لعبد الرحمان أن ينزل إلى ماء النيل سائحا ،فاكترى قاربا صغيرا ولركبه جالسا وبمعيّته خادمه الماهر في فن السياقة والتجذيف، ثم لبث أن تمدد متدثرا ببرنسه ،فشعر بين هدأة الليل وهدهدة الموج أنّ القارب يتحرك من تلقاء ذاته ،وأن الخادم الصموت كأنه اختفى وراء مجذافيه ،فقضى المتمدد ما شاء الله من لحظات الغفوات ورؤى اليقظة ،لحظات هي أشبه ما تكون بذرات الخلود ،يحضر الكون كله في لمعانها، ويحسّ مُعانيها أنه توضأ من دم الشهادة ،واستوطن حجر الحق مع صحابة إسلام الفجر ومبعوثي الصفاء والعدل».[2]ونجد أيضا الكاتب قد وصف

[1]- الرواية، ص86.

[2]- الرواية، ص13.

نهر النيل في الرواية بنهر الجنة ونمثّل ذلك في هذا المقطع :«مثل بحر النيل فيها بنهر الجنة ».[1] أي أن مصر تتميز بأجمل نهر ،فجماله لا يوصف فهو يختلف عن الأنهار الأخرى.

3- الحج(بيت الله الحرام):

يعتبر الحج من الأماكن المفتوحة يقصده الناس من مختلف الأنحاء لتأدية الركن الخامس من أركان الإسلام ألا وهو حج بيت الله الحرام، وذلك لطلب المعرفة والتوبة من الذنوب والمعاصي، فقد قام الكاتب في هذه الرواية بوصف تجربة عبد الرحمان حينما شدّ رحاله إلى بيت الله آملاً من الله عزوجل أن يتقبل زيارته ،وأن يطهّر قلبه ونفسه من المعاصي ،ويغفر له خطاياه ،نرى ذلك في هذين المقطعين :«علمت سيدي ذاهب إلى الحج ،فنبتُ عن المرحومة زوجتك في تزويد حملك بشيء من مأكول السفر».[2]«عزائي في حزني المتعاظم أني على وشك شدّ الرّحال إلى الديار المقدسة ،وأملي في الله أن يسعفني ثمّة على تنقية ذهني من حشراته الرقطاء ،ونفسي من هواجسها السوداء ،أملي كبير في أن تن2طرد تلك الأمكنة الطاهرة كل أبخرتي الرديئة وتضمد ذكرياتي الجريحة».[3]

استغرق حج عبد الرحمان ستّة أشهر أين كان غارقا في الظنون والشكوك وذلك لقوله: «ذهابا وإيابا استغرق حجي زهاء ستة أشهر ،أما أنا فكنت خلاله غارقا في بحر من الشرود والتوهمات كما سيأتي ذكره».[4]

4- مصر (القاهرة):

أعطى الكاتب في هذه الرواية مكانة رفيعة للقاهرة، كونها رمزا للجمال والحضارة والرقيّ، فقد اعتبرها عبد الرحمان جنة فوق الأرض بما فيها نهر النيل الذي لا يمكن وصف جماله، وخضرة الطبيعة فيها وتنوع بساتينها حيث قال: «اكتشف المالكي الوجه الآخر للقاهرة، المدينة التي وصفها حين دخلها منذ أقل من عامين ،بحضرة الدنيا وبستان العالم وإيوان الإسلام، ومثّل بحر النيل فيها بنهر الجنة ».[5] كانت بالنسبة لعبد الرحمان مدينة الإسلام والمسلمين، أين كانت له مكانة عز وفخر ،كما قيل للعلامة قبل وفوده عليها: «من لم يرها لم يعرف عزّ الإسلام، وحين عاينها وقف

[1]- الرواية، ص10.
[2]- الرواية، ص97.
[3]- الرواية، ص86.
[4]- الرواية، ص107.
[5]- الرواية، ص10.

عند هذا العزّ في عمرانها ومآثرها ورسومها»[1]، كما تطرق إلى ذكر جمال مساجدها وحدائقها وحاراتها التي أبهرته ،فنجد ذلك هذا المقطع حيث كان يصفها لأم البنين :«هي القاهرة يا أم البنين إن أدرت وجهي صوب شمال النيل الشرقي ،هي قاهرة المعزّ على أرضها السبخة ، بمآخذها التواقة إلى جامع الأزهر ومشهد الحسين ،بحدائقها وأحيائها وحاراتها ،وبأبوابها الستة المفتوحة على قناة الخليج ونهر النيل»[2]

5- المغرب:

يعتبر بلد المغرب مسقط رأس ابن خلدون وزوجته أم البنين ،حيث وصفها في هذه الرواية :«فأرض المغرب وقتئذ بدت له معلّمة ،في وهادها ومنصّاتها وجبالها ،بإشارات الحضور المباشر المرئي لأولياء الله ومحبّيه»[3]، فقد حصلت في هذه البلاد العديد من الكوارث ،ومضت فيها سنوات من الفقر والقحط ونرى ذلك في هذا المقطع: «فيما مضى شاهدت بأرض المغرب مالا يطاق من الكوارث العظمى ،وعاينت خلالها أسيادها الأنانيات الهوجاء والدسائس كلها ،عاينتهم أثناء المجاعات والقحوط يخزّنون الزروع والزيوت وغيرها احتكارا أو يصدرونها إلى بلاد أخرى ،عينت فيما مضى منكرات فادحة شتّى ».[4]

ولما بلغ من الكبر عتبا أخبر أم البنين بأن المغرب تبقى بلاده رغم كل الاتجاهات التي قصدها ،لكنه فضّل العودة إليها مع زوجته ،ويتجلى ذلك في قوله: «هذه المرة يا أم البنين لا بدّ مغادرة هذه الأرض ،لم تعد مصر منأى للكريم عن الأذى ،المغرب بلادي ويبقى بلادي ولو جار علي، صوت المغرب الداخلي ينادينا بأن نعود إليه ،فاس في انتظارنا فاحزمي الأمتعة واستعدي للرحيل».[5]

6- دمشق:

[1]- الرواية، ص11.
[2]- الرواية، ص209.
[3]- الرواية، ص17.
[4]- الرواية، ص75.
[5]- الرواية، ص209.

دمشق مدينة تيمور الأعظم أين كتب اسمه بأحرف لن تمحى ولن تنسى ،فقد سافر إليها عبد الرحمان ابن خلدون للقاء به رغبة في رؤيته وشوقا في معرفته ،رغم وجود بعض القلق في قلبه اتّجاهه، وذلك بعد كل الأخبار التي سمعها عنه وعن قوته الجبارة التي يهابها كل المماليك والسلاطين، وتجلى ذلك في الرواية: «ساعات طوالا قضاها عبد الرحمان مفكّرا في انجذابه نحو تيمور ،رغم المصاعب والمخاطر، في سريرته صار يقرّ بأن سفره إلى دمشق في ركاب الناصر فرح إن حصل لن يكون دافعه تحيزا ما للمماليك».[1]

ومن خلال هذا نستنتج أن للمكان أهمية كبيرة في العمل الفني ، وأنه لا يعد عطاء خارجي أو شيئا ثانويا، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متداخلا، «فالمكان منذ القدم حتى الوقت الحاضر، كان القرطاس المرئي والقريب سجل الإنسان عليه ثقافته وفكره وفنونه ، مخاوفه وآماله وأسراره وكل ما يتصل به وما وصل إليه من ماضيه ليورثه إلى المستقبل ».[2]

3- لغة رواية العلامة:

تعد اللغة من العناصر الأساسية للرواية ، لأنها العنصر الذّي يظهر ويتشكل من خلاله جميع العناصر الأخرى التي يتكون منها العمل الروائي ، فإن اللغة هي القالب الذّي يصب فيه الروائي أفكاره ، ويجسد رؤيته في صورة مادية محسوسة ، وينقل من خلاله رؤيته للناس والأشياء من حوله ، "فبالغة تنطق الشخصيات ، وتتكشف الأحداث ، وتتضح البيئة ، ويتعرف القارئ على طبيعة التجربة التي يعبر عنها الكاتب ".[3]

تزخر رواية العلامة بلغة جميلة وأسلوب ممتع، والذي يبرز من خلال المزج بين الروائي المتخيل والتاريخي الواقعي، الذي يتميز به إبحار هادئ في سيرة عبد الرحمان ابن خلدون وتاريخ عصره، فقد تعددت الأشكال اللغوية التّي وظفها الروائي "بنسالم حميش" في روايته "العلامة" ، من أجل تقديم شخصياته بصورة أكثر حيوية، حيث استخدم في الأغلبية اللغة العربية الفصحى، والأقلية اللغة العامية، كما تطرق إلى استخدام بعض أبيات الشعر .

[1]- الرواية، ص213.

[2]- ياسين النصير، الرواية والمكان ، الموسوعة الصغيرة 195، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،1986 م، ص17.

[3]-د.عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية)، ككتبة الشباب (المنيرة)، القاهرة، سنة 1982م، ص199.

نجد أن الروائي استخدم اللغة العربية الفصيحة في وصف الشخصيات على لسان السارد مثل ما نجد في المقطع :« وقد وفق في نيل هذا المبتغى بعد لأي وإصرار ، فاعتزل في بيته القريب من الصالحية ، المطل سطحه على النيل ، لا يدخل عليه من الناس في كل يوم إلا خادمه شعبان السكيت ، القائم بكل الحاجات والأغراض »[1]. كما نجد هذه اللغة أيضا في الحوارات المتبادلة بين الشخصيات ،مثل :«

_منذ متى وأنت في خدمتي يا شعبان؟

_منذ ما يناهز العامين يا مولاي .

_وكيف قبلتك في تدبير شؤوني ؟

_أتيت سيدي بقلب كظيم وعينين عامرتين باليأس ،فنظر إلي نظرة ، ثم سلمني مفاتيح داره وعلى أمورها ولائي».[2] كما قد استعمل هذه اللغة في سرد الأحداث ووصف الزمان والمكان ويقدم بها أفكاره وأحاسيس الشخصيات ،مثل ما نجد في المقطع :«قطعنا حدائق الظاهر مختالين ، متطلعين إلى نخيلها العملاق وإلى الزعارير برياحينها وتغاريد العصافير الهائمة ، متنشقين جمال الأس والورد والنسرين والبان والياسمين، وغيرها من باقات الفتنة الملهمة»[3]. فهنا قد وصف لنا السارد مكان معين وهي الحدائق. وفي مقطع آخر نجد:« انفجرت أسارير الحيحي وأبدى فرحة مشوبة بالدهشة ،قال: سيدي ، لم أنتظر منك كل هذا الخير»[4]. في هذا المقطع قدم لنا السارد إحساس شخصية الحيحي .

نجد أيضا أن الروائي استخدم اللغة العامية في بعض المقاطع مثل : «خلاص.. طاحت وجبرناها ». «ويلي مولاي يعطيه اللقوة»[5]. كما نجد في مقطع آخر :« ونعيش بإيش؟ ببركتو ونفاحتو!»[6]. كما وظّف اللهجة المصرية في هذا المقطع :« الحلاوة ذي ما يعلم بها غيرنا . وهذا يا أفندي سبب آخر لأرفضها . على زيك يا شعبان ».[7] وظفت

[1]–الرواية، ص12.
[2]–الرواية، ص14.
[3]–الرواية، ص136.
[4]– الرواية، ص 22.
[5]– الرواية، ص 21.
[6]–الرواية، ص 36.
[7]–الرواية، ص 95.

العامية في هذه الرواية للتمييز بين مستويات الشخصية الثقافية والاجتماعية ولهجتها القروية أو المدنية وأصولها، إضافة إلى استخدام اللغة الشعرية التّي عبرت عما في داخل الشخصية وأعماقها المتناقضة وذاتها المعذبة المفتتنة نحو:

على أي حال لليالي أعاتب وأي صوف للزمان أغالبُ

كفى حزناً أني على القرب نازح وأني على دعوى شهودي غائبُ[1]

كما قد استخدم ألفاظ ذات إيحاءات دينية للتمييز بين شخصية وأخرى ، فهذه الألفاظ والآيات القرآنية وظفت على لسان ابن خلدون المتميز بدينه عادة ، فقد نجد هذه الآيات في بعض المقاطع مثل قال تعالى:﴿**هنّ لباس لكم وأنتم لباس لهنّ**﴾ سورة البقرة [2]. ونجد آية أخرى في قوله تعالى:﴿**الذّي خَلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا**﴾.[3]

استعمل الروائي بنسالم حميش في هذه الرواية لغة بسيطة وسهلة الفهم ،تجعل القارئ ينغمس في أحداثها، ويتعرف على جميع عناصرها.

[1]- الرواية، ص87.

[2]-الرواية، ص21.

[3]-الرواية، ص 124.

الفصل الثاني

الفصل الثاني

أبعاد الشخصيات بين الواقع والمتخيل

1- بنية الشخصيات الروائية

2- الشخصيات في رواية العلامة

3- أبعاد الشخصيات في رواية العلامة

تقديم:

تكتسي الشخصية في النص الروائي أهمية كبيرة، كونها تعتبر من أهم مكونات العمل الحكائي، إذ تمثل العنصر الحيوي الذي يطلع بمختلف الأفعال التي تترابط وتتكامل في مجرى الحكي، لذلك لا غرابة ولا عجب إذا حضيت بالأهمية البالغة لدى المهتمين والمنشغلين بالأنواع الحكائية المتعددة[1] .

لقد حضر مصطلح الشخصية في مجالات عديدة أبرزها علم النفس وعلم الاجتماع ،و أكثر ما يهمنا هنا هو مفهومها في ميدان الأدب و نقده "فالشخصية (personality)، كلمة لاتينية (persona)، ومعناها القناع أو الوجه المستعار الذي يضعه الممثل على وجهه من أجل التنكر وعدم معرفته من قبل الآخرين ، ولكي يمثل دوره المطلوب في المسرحية كما يظهر بالنسبة للآخرين وليس و ليس كما هي حقيقته ، على اعتبار أن الممثل يؤثر عقلية المشاهدين من خلال الدور الذي يقوم به ، وليس بما يتصف به ذاتيا ، ومن مضمون هذا المعنى (persona)، يمكن أن نفهم تأثير السلوك الشخصي ، في ظاهرة وباطنية وتعد المحطة النهائية لسلوكه بكل أبعاده الروائية والبيئية ، وهي عن علماء النفس الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والخلقية والتي تميز الشخص عن غيره تمييزا واضحا "[2].

تعامل الشخصية في الرواية التقليدية على أساس أنها كائن حي له وجود ميتافيزيقي، فتوصف ملامحها، وقاماتها، وصوتها وملابسها ، وسنها وأهواءها، وهواجسها ، وآمالها وآلامها [3]، وقد عرف **جيرالد برنس** في كتابه" قاموس

[1]–ينظر سعيد يقطين، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية ، المركز الثقافي العربي ، ط1 ،بيروت، 1997م ، ص 87.

[2]–علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في الرواية (ثرثرة فوق) ، مجلة كلية الأدب ، عدد 102 ، ص 42.

[3]–عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة(د ط) الكويت،1998م، ص76.

السرديات " الشخصية بأنها "كائن له سمات إنسانية ومنخرط في أفعال إنسانية مثل (actor)، له صفات إنسانية . 1"

ويقول سعيد علوش في كتابه معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة أن مصطلح:" الشخصية يستعمل في الأدب الروائي، إلا أنه أخذ يختفي ليحل محله مصطلح الفاعل لدقته السينمائية . "[2]

إن إخفاء عنصر الشخصية وأخذ محله الفاعل أو الممثل في الرواية فهي تقوم بربط الأحداث ببعضها البعض ، فلا نستطيع أن نتخيل رواية دون شخصية .

تعد الشخصية عند **فلاديمير بروب** "دراسة مورفولوجية ركز فيها على وظائف الشخصية ، ولخص من خلال تحليله لمائة حكاية روسية إلى أن الثابت في كل الحكايات هو وظائف الشخصيات وليس الشخصيات في حد ذاتها "[3].

1- أنواع الشخصيات :

الشخصيات الروائية أنواع يوزعها الكاتب وفق تسلسل معين ، يمثل الوسيلة الجوهرية في تقسيمه لها من بداية العمل الروائي حتى نهايته ، فالكاتب يمنح لكل شخصية من شخصياته رتبة معينة بناءا على وضيفتها التي تؤديها في النص الروائي ، فيجعلها شخصيات رئيسية أو ثانوية أو شخصيات خيالية من الاعتبار .[4]

الشخصية الأكثر التصاقا بالأحداث وبالشخصيات الأخرى تسمى الشخصية الرئيسية ، لقدرتها على تحريك الأحداث وتغييرها وقلبها في كثير من الأحيان ، فقد كانت الشخصيات الرئيسية البطل ، والبطل المضاد في النص مثالية خارقة تتخطى كل الصعاب وتحل المستعصي من المشكلات وتحقق المعجزات وتنتصر على الأقدار ، وتغير الأحداث كيفما تشاء .[5]

---

[1]-جيرالد برانس، قاموس السرديات ، ترجمة السيد أمام ، ميريث للنشر والمعلومات ، ط1 ، القاهرة ،2003م، ص 30 .

[2]-سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتب اللبناني ، ط1 ، بيروت ،1995م، ص 125 .

[3]-سعيد بن كراد، شخصيات النص السردي، البناء الثقافي منشورات جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1994م ، ص 99.

[4]-ينظر، لوكاش، دراسات في الواقعية ص 29 .

[5]-ينظر، محمود السمرة، في النقد الأدبي ص 25.

الشخصيات الثانوية لا تشكل سببا لإهمالها وتركها ، فكثيرا ما يوقف الكاتب في تقديمها بصورة جذابة مقبولة ، متدفقة بالحياة لأنه اقتبس هذه الشخصية من الحياة رأسا دون أن يعني بتهذيبها أو صقلها أو الإضافة إليها ، لتأتي صادقة حية لا ينساها القارئ ، بتشبيهه لها ببعض أصدقاءه ومعارفه [1].

2- الشخصيات في رواية العلامة:

أ- الشخصية الرئيسية :وهي صلب الموضوع لأنها المحور العام الذّي تدور حوله الأحداث في الغالب، فالشخصية هي «التي تقود الفعل وتدفعه إلى الأمام وليس من الضروري أن تكون الشخصية الرئيسية بطل العمل دائما، ولكنها هي الشخصية المحورية ، وقد يكون هناك منافس أو خصم لهذه الشخصية »[2]، وتقوم الشخصية الرئيسية دائما بمهمة أساسية في الخطاب الروائي، «إذ تحظى باهتمام كبير من طرف السارد، يتوقف عليها فهم التجربة المطروحة في الرواية فعليها نعتمد حين نحاول فهم مضمون العمل الروائي»[3]. فهي البوصلة التي توجه الحدث وفق نسق معين، وصفوة القول أن هذه الأخيرة « هي كنه العمل في القصة ومنها تبدأ الأحداث ومنها تحل العقد المطروحة، وللشخصية الرئيسية وظيفة أساسية تقوم بها في بناءها للعمل وهي تجسيد معنى الحدث القصصي لذلك فهي صعبة البناء وطريقها محفوف بالمخاطر»[4] . بمعنى أنها بؤرة الحدث وجسم العمل و محرك الوقائع في النص، وهكذا تتضح لنا أهمية الشخصية الرئيسية والدور الكبير الذي تلعبه في صنع الحدث وتطوره .

---

[1]-ينظر، محمد نجم، فن القصة ص 52.

[2]-صبحية عودة زعرب، غسان كناني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،ط1، عمان ،الأردن، 2006م، ص 131.

[3]-محمد بوعزة ، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الإختلاف، ط1،2010م، ص57.

[4]-شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة ، دار القصبة للنشر ، دط، الجزائر ،2009م، ص45.

تمثلت الشخصية الرئيسية في هذه الرواية في شخصية تاريخية معروفة عالميا في مجال علم الاجتماع الإنساني، وهي شخصية العلامة "**عبد الرحمان ابن خلدون**[1]"، وهو الشخصية المسيطرة والبطل الرئيسي الذّي تدور حوله الأحداث، إذ تبدأ به الرواية وتنتهي بوفاته، فهو الرجل المثقف بين طبقة الأمراء والحكام وعامة الناس، وقد عاش في بلاد المشرق ورأى الفساد والغلبة لذوي المال والسلطة، هاجر ابن خلدون إلى مصر ومنها توجه لأداء فريضة الحج، وبعد أن عاش في القاهرة وعايش أفرادها اكتشفها بوجه آخر خاصة عند توليه مناصب عديدة هامة منها : قاضي المالكية ، ومدرس الحديث بالمدرسة القمحية، ومدرس بالمدرسة الصرغتمشية ...، ومن هنا اكتشف المالكي وجه القاهرة الحقيقي :« المدينة التي وصفها حين دخلها بحضرة الدنيا وبستان العالم وايوان الاسلام، ومثل بحر النيل فيها بنهر الجنة، اكتشفها بوجهها الآخر، أي الفساد مستشريا في العادات والتقاليد ، والغلبة كلها لذوي المال والسلطة، و الحيف نازلا على كواهل المعوزين وأهل الفاقة»[2] .

كان لعبد الرحمان ابن خلدون خادم مخلص اسمه شعبان يعيش معه في البيت، وله كاتب خاص اسمه حمو الحيحي: «حمو الحيحي هذا الذي أصبح كاتب عبد الرحمان يمكن تشبيهه من حيث الخلقة بابن جزي كاتب ابن بطوطة الطنجي».[3] فبعد موت كاتبه حمو تزوج عبد الرحمان بأرملته "أم البنين" .

---

[1]-هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن خلدون الحضرمي الإشبيلي ، الشهير اختصارا ب"**ابن خلدون** "، ولد بتونس في غرة رمضان سنة 732هـ ، الموافق ل27 من مايو 1332م ، نشأ في بيت علم و مجد عريق ، فحفظ القرآن في وقت مبكر من طفولته، هو عالم من علماء العرب والإسلام ، برع في علم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والتخطيط العمراني والتاريخ، بنى رؤيته الخاصة في قراءة التاريخ وذلك بتجريده من الخرافات والروايات التي لا تتفق بالمنطق ، ليكون أول من طبق المنهج العلمي على الظواهر الاجتماعية .امتهن الكتابة في ديوان الرسائل في شبابه وأصبح رسولا بين الملوك في بلاد المغرب والأندلس قبل أن يهاجر إلى مصر ويقلد قضاء المالكية على يد "السلطان الظاهر برقوق"، ترك مراسلة الملوك وانصرف للدراسة والتصنيف وألف عديد الكتب كان من أهمها:"كتاب وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عصائرهم من ذوي السلطان الأكبر". والذّي عرف اختصارا ب"تاريخ ابن خلدون "، ومقدمة هذا الكتاب الشهيرة ب"مقدمة ابن خلدون "، والتي تعد كتابا بذاتها، توفي رائد علم الاجتماع العلامة المؤرخ الموسوعي عبد الرحمان ابن خلدون في 26من رمضان 808هـ الموافق ل 16 مارس 1401 م في القاهرة عن عمر 69 سنة ».

[2]الرواية، ص10.

[3]الرواية، ص 28.

عاش عبد الرحمان حياته متنقلا بين عدد من الدول من بينها المغرب والأندلس والجزائر، والحجاز والشام ومصر، فعمل أستاذ للفقه المالكي ثم قاضيا في القاهرة، وأرسل كسفير لعقد اتفاقات للصلح بين الدول.

ب- الشخصيات الثانوية في الرواية:

تعتبر الشخصية الثانوية عنصرا مهما و ركنا أساسيا في النص الروائي بعد الشخصية الرئيسية، إذ تلعب دورا مهما ومُعتبرا في الرواية وتكمل عمل الشخصية الأساسية وتعج كمساعد لها، حيث تشارك في تطور الأحداث.

هناك من الكتاب من يعطي للشخصيات أهمية كبيرة ويسند إليها أغلبية الأدوار والأحداث، كما هناك البعض الآخر من يراها أقل أهمية فيجعلها سطحية لا تحظى بدور هام، « تنهض الشخصيات الثانوية بأدوار محدودة إذا ما قُورنت بأدوار الشخصيات الرئيسية، قد تكون صديق الشخصية الرئيسية أو إحدى الشخصيات التي تظهر من حين لآخر، وقد تقوم بدور تكميلي مساعد للبطل أو معيق له، وهي غالبا ما تظهر في سياق أحداث أو مشاهد لا أهمية لها في الحكي، وهي بصفة عامة أقل تعقيدا وعمقا من الشخصيات الرئيسية »[1]. أي أنّ لها دور تابع في مجرى الحكي وغالبا ما يكون لها دور فعال في الرواية فهي أقل تعقيدا من الشخصية الرئيسية، «ولا تكون الشخصيات الثانوية أقل حيوية وعناية ذات رسالة تؤديها كما يريد منها القاص »[2] ، وقد برزت الشخصيات الثانوية في الرواية كالتالي :

1- حمو الحيحي:

يعتبر حمو الحيحي من الشخصيات الثانوية البسيطة اتسّم بالاتزان والرشد، رجل هادئ وعاقل يتميز بالأخلاق الفاضلة والوفاء والإخلاص، عائقه الوحيد هو رفضه التنزه مع زوجته وذلك لقصر قامته، يبلغ حمو الحيحي أربعين سنة من العمر تزوج بأم البنين وهاجروا إلى مصر بعد قضاء عامين في مدينة فاس حيث ولدت وترعرعت زوجته .

أصبح حمو كاتبا للعلامة عبد الرحمان ابن خلدون فكان جليسه و مستأنسه ومدوّن لجميع مسيراته في الحكم وشاهدا على لياله السبع ،كان أيضا بمثابة صديق وأخ مقرّب له حيث قال عبد الرحمان :« في فاس يا حمو كان لي

[1]- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص57.

[2]- ينظر: الموسى خليل، التحولات النفسية والذهنية في الشخصية الروائية، مجلة المعرفة، العدد 395، 1995م، ص110.

الأهل والأحباب، أختار من إخواني من ينوب عنك في خروجي، أما في هذه البلاد فأنت كل أهلي يا حمو، ولا حبيب لي غيرك »[1]، شبه الكاتب حمو الحيحي من حيث الخلقة بابن الجزي كاتب ابن بطوطة فقد قال:« فكلاهما رجل حُزقة ،أعمش من كثر القراءة والنسخ ، إلا أن الأول والحق يُقال يمتاز عن الثاني بتوقد ذكاءه ومرحه ورباطة طبعه»[2] كما قال عنه أيضاً :«حمو الحيحي ليس من الكتاب الذين يسلكون في تقييد الإملاءات منهج السمع والطاعة ، أو يباركون في عمر مشغليهم كلما فتحوا أفواههم وركبوا الجمل والفقرات شفاهة، أو يقيدون كلام هؤلاء ولو أطلقوه على العواهن جزافا ،ورصّعوه بغرائب اللفظ والمعنى »[3] ،كان وفيا لسيده إلى أن وافته المنية بعد أصيب بمرض شلّ كل أعضاء بدنه .

شعبان:

هو شخصية بسيطة بلغ من العمر سبعين سنة بالرغم من كبر سنّه إلا انه كان رجل قوي البنية و متين البدن ،عيّنه سيده عبد الرحمان خادما له فأصبح من يتولّى جميع شؤونه ومدبّر أموره وقاض لحوائجه ،فقد كان العين التي يرى بها والأذن التي يسمع بها ،ويده اليمنى، العصا التي يتّكأ عليها ،الأخ الذي لم تلده أمه والصاحب وقت الضيق والخادم الوفي المقضي لمستلزماته .

أم البنين:

تعد أم البنين من الشخصيات الثانوية عمرها لا يتعدّى الثلاثين ،ولدت و ترعرعت في مدينة فاس أخوها يدعى سعد ،تزوجت من كاتب عبد الرحمان "حمو الحيحي" ،فهم من عائلة بسيطة لم يشأ الله أن يرزقهما بالبنين ،لكن بقيت علاقتهما وطيدة مبنية على الحب والتفاهم .وبعد موت زوجها أصبحت زوجة لعبد الرحمان الذي كان نعم الزوج في الحب والاحترام والإخلاص فقد كان معجب بها وأكلاتها المغربية الشهية والرائعة ،فقد عاشوا حياة مليئة بالسعادة اللا منتهية ،وأصبح نعم الأب بعد أن رزقهما الله بطفلة تدعى بالبتول ،لكن سعادتهما لم تدم طويلا شاء القدر أن تخسر للمرة الثانية زوجها عبد الرحمان سندها وشريكها في الحياة.

[1]- الرواية،ص20.

[2]- الرواية، ص28.

[3]- الرواية، ص28.

سعد:

سعد أخ لأم البنين ،شخصية غير متزنة إذ وصفه الكاتب بالأخ الغير المسؤول رغم أن أهله أرسلوه لكي يكون سندا لأخته والوقوف معها في محنتها بع فقدانها لزوجها ،ولكنه اتّبع سبيل اللّهو والفسق و الطريق الغير السّوي فذكر في الرواية :«سعد الذي عاد إلى ركوب هواه وإتباع مدارج الغيّ محولا بشهادة الجيران منزل أخته إلى بيت عربدة وفسق.»[1]

تيمور الأعرج (تيمورلنك):

يعتبر تيمور الأعرج من أكبر الحكام و أقواهم، يملك شخصية قوية جدًا يهابها كل الناس. تيمور في لغة المغول يعني الرجل الحديدي وهذا المعنى انطبق كليا على شخصيته في الرواية ،إذ كان معروفا بالحيلة والدّهاء ،لقّب بالأعرج لأنه رجله كانت معطوبة .«كان هذا الحاكم التّتري ينشر الخراب في غزواته ويعمر المجالات بجبال من الجثث والجماجم حتى تشيع أخباره المهولة ويجد بها أنواقا لا يراها »[2].

قام هذا الطاغية بغزو العديد من الدول ،حيث كان قائدا لا يعرف معنى الهزيمة ومؤسّسا للإمبراطورية التيمورية، كما يعتبر راعيا عظيما للفن والعمارة يعمل على تقريب العلماء إلى بساطه.

3- أبعاد الشخصيات في رواية العلامة:

من الثابت فنيا أن تنوع الشخصيات كان له تأثير حاسم في ظهور وتجلي بما يسمى بالأبعاد ، وقد تعددت واختلفت بحسب طبيعة الشخصية ، وهذا لمعرفة الخلفية المشكلة لكل شخصية والمكونة لها ،وهذا انطلاقا من معرفة سلوكياتها وأفعالها .

[1]- الرواية، ص133.

[2]- الرواية، ص196.

«أبعاد الشخصية لا تقدم دفعة واحدة أو بشكل تقريري ، بل تصاغ من خلال منطق الأحداث والمناخ العام، للروائي والأساليب الفنية المتعددة والمنسقة ، وهو ما يكسب الأبعاد دلالات هامة تساعدنا على التعرف على الشخصية وفهمها »[1].

ترسم الشخصية الروائية في الأغلب من خلال الأبعاد التالية : البعد التاريخي ، البعد الاجتماعي ، والبعد النفسي ... وغيرها .

أ- ابن خلدون:

1- البعد التاريخي:

يوظف الروائي الشخصيات التاريخية ليقدم خلفية عن الأحداث جرت في الواقع، حيث يعرف نادر أحمد عبد الخالق الشخصية التاريخية بأنها «تلك الاحداث التي يستوحيها الكاتب من كتب التاريخ وأحداثه ويكون موضوعها مقتبسا من سيرة القادة ورجال الدين وأصحاب الحركات والثورات التاريخية للشعوب مع مختلف أجناسها »[2]. حيث نجد الروائي بنسالم حميش قد وظف شخصية تاريخية في رواية العلامة مما أضافت جمالا في الرواية تمثلت في شخص عبد الرحمان ابن خلدون، إذ يعد العلامة عبد الرحمان ابن خلدون شخصية رئيسية تاريخية معروفة، فهو فيلسوف مؤرخ وباحث في علم الاجتماع ، يمتاز بالفكر الواسع والحكمة والصبر والعبقرية ، رغم كل المشاكل التي واجهها بينه وبين الدولة ، فنجد هذا في نص الرواية :«في منحى حياة ابن خلدون المغربي ، كانت الرجات والمشاق كثيرا ما تبدأ أو تنتهي باكفهرار الجو بينه وبين الدولة »[3].

كان رجل مثقف ينظر إلى التاريخ على أنه علم قائم بذاته له قوانين تحكمه ، والتاريخ هو خليط لمجموعة من العوامل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية التي تصنع التاريخ بمجملها ، حيث قال في هذا المقطع:« سجل هذا

[1]-شكري عزيز الماضي، في نظرية الأدب ،المؤسسة الوطنية للنشر، ط2، الجزائر، 1984م، ص89.

[2]- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، دار العلم والإيمان، سميسم للنشر والتوزيع،ط1، مصر،2010م، ص51.

[3]- الرواية، ص09.

المفهوم يا حمو بالقلم الغليظ :« إنه التاريخ ، ولا تهمل مشتقاته من جنس التغيير والتبدل والانتقال والانقلاب والتحول ... يطغى على هذا المفهوم ويملأ أيامي وأعمالي»[1].

اتجه ابن خلدون إلى الوظائف العامة ، فبدأ يسلك الطريق الذي سلكه أجداده من قبل ، فالتحق بوظيفة كتابية في بلاط بني سالم حيث قال في هذا المقطع :«ثم كانت توليتي على الكتابة عن السلطان أبي سالم في السر والإنشاء فالفيئة إلى غرناطة عند بني الأحمر »[2].لكن لم تكن لترضى طموحه ، وعينه السلطان أبو عنان ملك المغرب الأقصى عضو في مجلسه العلمي .

سرعان ما انقلبت الأحوال بينما بلغ السلطان أبو عنان أن ابن خلدون قد اتصل بأبي عبد الله الحفصي أمير بجاية المخلوع، وأنه قد دبر معه مؤامرة لاسترداد ملكه ، فسجنه أبو عنان في سجنه حوالي عامين ثم أطلق صراحه ، كما نجد في هذا المقطع :«وهكذا استسهلت وأنا في بلاط أبي عنان ، التفاهم مع ضيفه أبي عبد الله أمير بجاية المخلوع على أن أيسر له فراره إلى إ مارته وأقبل حجابته ما إن تستتب له الأمور »[3].

وفي مقطع آخر قال :«...لكن سرعان ما انكشف أمري وانفضح ، فألقاني المريني في غيابة سخنه نحوا من سنتين»[4]. وظل ابن خلدون بعدها في رغدة من العيش وسعة من الرزق .

قرر ابن خلدون السفر إلى مصر ،فطلب الإذن من السلطان فأتته فكرة الحج ، فلما أذن له السلطان بالسفر قصد المرسى بغية التوجه شرقا ، وصل إلى الإسكندرية في شوال سنة784هـ ،فأقام بها شهر ليستعد لرحلة السفر إلى مكة ، ثم قصد بعد ذلك القاهرة فأقام فيها . لقد لقي ابن خلدون الحفاوة والتكريم من أهل القاهرة وعلماءها كما لقي تقدير واحترام" السلطان الظاهر برقوق" سلطان مصر ، نجد هذا في المقطع :«وهذا ما فهمته منذ حللت بهذه الديار ، فتركت ثاني الأتابكة الطنبغا الجوباني ينظمني في سلك حاشية الظاهر برقوق ، حتى أضحى هذا السلطان يربطني

[1]- الرواية، ص 49.
[2]- الرواية، ص45.
[3]-الرواية، ص 44.
[4]-م ن، ص ن.

إليه بظل رعايته ومدد قمحه وجرايته ، ويذكرني عبر نزعاته الملوكية الغاضبة أني مدين له بلقمة عيشي وبالهواء ملء خيشومي »[1].

عين عبد الرحمان ابن خلدون في سنة 786هـ قاضيا للمالكية ، وقد ذكر الروائي هذه المعلومة في قوله :«من أواخر الحلقات المظلمة بين حكام الوقت وعالمنا حلقة جلوس هذا العالم ببرنسه المغربي قاضيا للمالكية بالصالحية بين القصرين ، وذلك بتعيين من السلطان الظاهر برقوق ، سنة ست وثمانين وسبعمائة»[2] .فهذا المنصب من أرفع أربع مناصب للقضاء في الدولة ، فإن ولاية ابن خلدون للقضاء لم تكن حدثا عاديا ،فهذا المنصب وحتى مناصب التدريس كانت غاية الفقهاء والعلماء والمحليين لذلك كثر عليه الحساد والطامعين .

حيث عزل بعدها من منصب القاضي سنة 787هـ، وانصرف للتدريس بالمدرسة القمحية ثم عين مدرسا للفقه المالكي في المدرسة الجديدة التي أنشأها السلطان في حي بين القصرين فسميت بالمدرسة الظاهرية البرقوقية ، حيث قال عبد الرحمان في هذا المقطع :«تعلم يا حمو أني درست في أمهات الجوامع والمدارس في الزيتونة والقرويين والعباد والحمراء والأزهر والقمحية ، واليوم في البرقوقية»[3]. وبقي كذلك إلى أوان موسم الحج ، فدخل مكة في ثاني من ذي الحجة عام 789هـ وأدى الفريضة ، وعاد إلى القاهرة فعمل مدرس في المدرسة الصرغتمشية .وبعد مدة أعاده الظاهر برقوق إلى منصب القضاء مرة ثانية .

أثناء إقامته في مصر وصلت أخبار تيمور الذي دخل الشام واستولى على حلب بسفك وتخريب سنة 803هـ فبدأ يتحرك اتجاه دمشق ، فاهتزت مصر لهذه الأخبار ،فحشد الناصر فرج لملاقاة تيمور فاصطحب قضاته الأربعة من بينهم ابن خلدون ، فانطلقت الحملة في ربيع الثاني 808هـ .وبينما اشتبك جنود مصر مع جيش تيمور حيث ثبت الجيش المصري لتبدأ مفاوضات الصلح بينهما ، حيث نجد هذا في المقطع :«لكن مثولي للانتفاض هذا عاكسته زيارة مباغتة لأحد مبعوثي السلطان فرج ، جاء يخبرني عن سفارته إلى تيمور لإبلاغه موافقة المماليك على طلبه الصلح »[4].

[1]–الرواية، ص151.

[2]– الرواية، ص 09-10.

[3]–الرواية، ص 77.

[4]– الرواية، ص270.

بعدها طلب عبد الرحمان من تيمور بالعودة إلى مصر فأذن له بالرحيل فغادر دمشق في رجب سنة 893هـ، ما لبث ابن خلدون بعد الوصول إلى القاهرة حتى ردوا له منصب القضاء للمرة الثالثة ، حيث قال في هذا المقطع :«إلا أن الجواب أتاني بظهير تعييني للمرة الثالثة قاضي المالكية بالقاهرة »[1]. ثم عزل بعد عام فقال في هذا المقطع :«فلم تمض سنة حتى عزلت عن الخطة وبيع منصبها لمتكالب عليها بالمال الثقيل ،المدعو جمال الدين البساطي المتطلع في فن الدس و الرشوة ».[2]

لسوء حظ ابن خلدون عزل من منصبه للمرة الرابعة وبعد فترة رد إليه للمرة الخامسة في شعبان من سنة 807هـ، حيث قال :«ثم تلقيت بمرسوم جديد تعييني للمرة الخامسة في خطة القضاء »[3].وعزل بعدها في شعبان للمرة السادسة ثم عاد للولاية مرة أخرى ، ومكث بها أسابيع حتى وفاته في رمضان سنة 808هـ في القاهرة .

2-البعد النفسي :

«يهتم الروائي من خلال البعد النفسي بتصوير الشخصية من حيث مشاعرها وعواطفها وطبائعها ، وسلوكها ومواقفها من القضايا المحيطة بها»[4]. والبعد النفسي يقصد به «اللوحة النفسية للشخصية أي ما يدور في أعماقها من مشاعر وانفعالات ، أو ما يدور في عقلها الباطن وحركة اللاوعي»[5].

حيث نجد بنسالم حميش قد ذكر بعض من مشاعر وانفعالات وسمات شخصية ابن خلدون في الرواية وهي كالتالي :

السمة الغالبة على شخصية ابن خلدون هي الصبر، والتحدي في الوقوف ضد المشاكل والصعوبات التي واجهها طيلة حياته، خاصة عندما واجه حادثة مؤلمة تمثلت في غرق أسرته الصغيرة في البحر فقد ورد هذا في المقطع :«كان من طبع الرجل الصبر والتحدي في الوقوف ضد رياح المكاره والمنكرات الهوجاء...، إذ غرقت أسرته الصغيرة في البحر، بعد أن نفعت شفاعة السلطان برقوق إلى أبي العباس صاحب تونس في تخلية سبيلها وبعثها إلى ربها . وكدأبه

[1]- الرواية، ص 271.

[2]-الرواية، ص 272.

[3]-الرواية، ص278.

[4]-شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، (دط) ، الجزائر،2009م، ص49.

[5]-شكري عزيز الماضي، فنون النثر العربي الحديث، جامعة القدس المفتوحة،ط1، 2012، ص34.

في ذكر مآسيه الخاصة ، لم يشعر عبد الرحمان إلى مصابه ذاك إلا على جناح العجلة والاقتضاب ، كأنما الكلمات في مقام الحزن تدير السكاكين »[1]. لقد كثرت المصائب والأحزان على ابن خلدون، فقد واجه حالة نفسية صعبة، بالإضافة إلى كثر الحاسدين والكارهين له، وخروجه من منصب القضاء ، فقد رأى أن حالته النفسية هذه لا ينفع فيها إلا الحج إلى بيت الله .

عاش عبد الرحمان حالة خوف مريع من القتل غدرًا ،والبطش العشوائي خلال رحلاته، حيث قال :«وقد لازمني هذا الخوف طوال حياتي ببلاد المغرب، ولا يزال يتبعني في هذه الديار، وإنّ بطغي أقل، نظرا لغلبة الزهد علي في غريزة البقاء، أما في عواصم دول المغرب ودويلاته فكم مرة رأيت موتي بالعين المجردة، وكم مرة أدركت سيوفه تلاحقني مهددة أو مطالبة »[2]. لقد جاوز عبد الرحمان خلال حياته مواقف وتجارب كثيرة جعلته يفهم ويتعلم دروس وعبر من هذه الحياة القاسية .

بعد عودة عبد الرحمان من الحج، تلقى خبرا محزنا ومفجعا وهو وفاة كاتبه "حمو الحيحي" الذي كان صديقه المقرب ، فقد ترك هذا الخبر حزنا شديدا في داخله ، إضافة إلى قلقه على حالة أرملة حمو "أم البنين". لكن هذه الحادثة كانت السبب في تغيير حياته وتكوينها من جديد ، فتعاطفه وكرمه دفعه لطلب أرملة الحيحي للزواج خوفا لبقائها وحيدة مغلوبة في بلاد الناس ، فبفضل رحمة الله تعالى تم زواجهما ، فقد ورد هذا في المقطع :«فاتح رجب تسعين وسبعمائة ، تاريخ أدونه بماء الذهب ودمع الفرح ، تاريخ من شهر مقدس ، كأني معه بعثت من جديد لأجد في منزلي أم البنين وقد أشهدت على نكاحها عدلين ، وأقمت لها عرسا في منتهى البساطة والخفة »[3].فقد كتب الله لعبد الرحمان عمر جديد ،وشفاء لجوارحه ، فقد غير هذا الزواج حياته وحوّله إلى فرح وسعادة ،بالإضافة أنهما قد رزقا بطفلة اسمها "بتول"، فكان الفرح فرحين قد عين في ذلك اليوم للتدريس في المدرسة الصرغتمشية ،حيث نجد في المقطع :«سبحان الله !هذه بنت مباركة دخلت علينا بالخير ، سأسميها صباح العقيقة بتول إن شأت ، اسأليني أين

[1]-الرواية، ص 12.

[2]- الرواية، ص87.

[3]- الرواية، ص 132.

غبت منذ ظهيرة هذا اليوم ، بل وفري عليك عناء الكلام واسمعيني ، السلطان برقوق عينني مدرسا في مدرسة كبرى بجوار جامع أحمد بن طولون الذي تعرفينه »[1].

رغم استقرار حياة عبد الرحمان في تلك الفترة إلا أنه مازال قلقا وخائفا من تعرض زوجته وابنته لشر ما خاصة بعدما سمع بتهديدات تيمور على بغداد فقد ورد هذا في المقطع :«في أوقات الاستراحة والفراغ صار العلامة يعتني بطفلته ويلاعبها فيحقق لها ما تفضله الدغدغة ولعبة الحصان ،وذات مرة وهو يهيئ ركوبها فوق ظهره، أدرك بوعي حاد أن أفدح مصيبة يمكن أن تنزل به هو أن تتعرض ابنته وزوجته لشر ما »[2].

فهذا القلق دفعه إلى بعث إلى زوجته وابنته إلى المغرب لإبعادهما من الخطر المتواجد في مصر. لذلك بعثهما مع خادمه شعبان، فقد نجد أيضا في هذا المقطع: «هذه المرة يا أم البتول، لابد من مغادرة هذه الأرض ،لم تعد مصر منأى للكريم عن الأذى ، المغرب بلادي ويبقى بلادي ولو جار علي »[3].

فبعد مرور زمن عاد عبد الرحمان إلى أهله في المحمودية مكان سكنه ، تقوده أشواق الحرى إلى ضم زوجته وابنته إليه ،فلما قصد منزله لم يجد فيه إلا خادمه شعبان فأخبره أن زوجته قد غادرت إلى أهلها بعد سماعها خبر موته ، فقد زاد في نفسية عبد الرحمان القلق على أسرته الصغيرة ، فقد عمل ما بوسعه ليتواصل معها ،فقام ببعث الرسائل إلى زوجته لاطمئنانها على حاله، نجد هذا في المقطع :«هي رسالة موجزة في نسخ عدة ، أخبرت فيها زوجتي بأني مازلت حيا أرزق ، وأن أمنيتي الأغلى أن ترجع إلي قريبا برفقة الصبية ».[4]

فبفضل دعواته عادت أسرته الصغيرة بعدما استلمت زوجته الرسالة، واجتمعت من جديد فكانت فرحة عبد الرحمان لا توصف.

بعد مرور زمن أصبحت حالة عبد الرحمان الصحية تتدهور وتتراجع يوما بعد يوم بسبب تقدمه في السن فقد اشتد عليه المرض خلال السنوات الأخيرة ،فكان يشعر بنفسه على اقتراب من نهاية محتومة حيث قال :«الشهور الخمسة

[1]-الرواية، ص 158.
[2]-الرواية، ص 187.
[3]-الرواية، ص209.
[4]-الرواية، ص 274.

الأولى من سبع وثمانمائة قضيتها بين تناوب الحمى والبرد عليّ وبين أوجاع شتّى يتبوأها وجع المفاصل ، في عيون زوّاري القلائل كنت ألمح صورة سوء صحتي ،فأقصر الكلام معهم وأوصيهم بالتستر على مرضي ، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا »[1]. فقد ظل عبد الرحمان على هذه الحلة شهور إلى أن انتقل إلى رمة الله تعالى .

لقد كشف هذا البعد في هذه الرواية عن مكونات شخصية عبد الرحمان ابن خلدون من الداخل، وإبراز سلوكه وعواطفه ومشاعره ومواقفه في تلك الأحداث التي مر بها .

3-البعد الاجتماعي :

يتمثل هذا البعد في« انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية ما، وفي نوع العمل الذّي يمارسه في مجتمعه، وثقافته ونشاطه وكل ظروفه التّي يمكن أن تكون لها أثر في حياته، وكذلك دينه وجنسه وهوايته»[2] ،أي المحيط الذّي تعيش فيه الشخصية بكل سلوكياتها.

كان عبد الرحمان مغربي الأصل ، فقد ولد في تونس زمن الدولة الحفصية، وقضى طفولته هناك قبل أن يبدأ تنقله بين المدن في المغرب العربي وبلاد الأندلس .

فهو الرجل المثقف الذّي يمتاز بالذكاء والحكمة فقد نجد هذا في الرواية :«هل سمعت يا أم البنين حكمة هذا العالم الأجل ؟»[3] . كان له مكانة عالية ومحترمة في مجتمعه ، فقد عمل قاضي للمالكية في مصر ، فكان عادلا بين الناس ومنصفا أثناء حل قضاياهم ، كما ورد هذا في مقطع آخر: «سيدي العالم الأعظم العدل ...منذ أكثر من عامين زرتك مع وفود معزيك في وفاة أسرتك الصغيرة »[4].

[1]- الرواية، ص278.

[2]-عبد القادر، حسن لافي قزف، مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، دار الفكر ، ط3، عمان ،2000م، ص 135.

[3]- الرواية، ص 23.

[4]- الرواية، ص 18.

كما كان عبد الرحمان رجل مسلم يطبق أحكام الله تعالى فهو من الزاهدين يدعو عبادة الله وتوحيده حيث قال: «ومر شهر تقريبا وأنا لا أبرح بيتي ، ولا أجد بعض التفريج عن كربتي إلا في الصلوات والنوافل والدعاء المسترسل بالتخفيف والتيسير»[1].

كما قد أعطى عبد الرحمان للمرأة مكانة عالية في المجتمع فكان يحترمها ويشفق عليها، ويتحدث إليها ويسير إلى جنبها ويحميها، فكان أيضا عادلا معها ويمنحها الحقوق التّي تستحقها، فقد قال في المقطع:«...المرأة لا يحميها من الرجال غير الرجل، هل قلت العيب يا ناس »[2].

رغم كسبه المكانة العالية المحترمة إلا أنه بقي ذلك الإنسان المتواضع والخلوق، فلم يستغل مكانته في ممارسة الأعمال النصب والتآمر والرشوة كبقية القضاة فقد شاهد الكثير من الفساد في مجتمعه ، فقد ورد هذا في الرواية: «لم يكن عبد الرحمان متمرسا بأفانين السعايات الكيد ، لا ذا باعٍ في أساليب التآمر والنصب، لأنه لم يغرق قط في سياسة وقته حتى الأذقان ، ولم يقبل في المعرفة بضعف البضاعة وهزل الزاد »[3].

عالج ابن خلدون مظاهر اجتماعية كثيرة، فهو يعد المنشأ الأول لعلم الاجتماع ، وقد اعتمد في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التّي أتيح له الاحتكاك لها فقد قال في هذا المقطع :« ...المرغب في التأمل وتحرير الدلالات حول ما كان إذ ذاك شغلي الشاغل :أحوال العمران والتمدن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية »[4]. ففي أثناء إقامته في بلاد المغرب شاهد أيضا كوارث عظمى حيث قال في الرواية :«في ما مضى شاهدت بأرض المغرب مالا يطاق من الكوارث العظمى ، وعاينت خلالها أسياد الأنانيات الهوجاء والدسائس كلها ، عاينتهم أثناء المجاعات والقحوط يخزنون الزروع والزيوت وغيرها احتكارا أو يصدرونها إلى بلاد أخرى »[5].

من خلال أحداث الروية يتضح لنا أن الوضع الاجتماعي لشخصية عبد الرحمان ارتبطت ارتباطا وثيقا بالوضع السياسي الذي يظهر من خلال عمله قاضي المالكية.

---

[1]- الرواية، ص270.

[2]- الرواية، ص 21.

[3]- الرواية، ص 09.

[4]-الرواية، ص 74.

[5]-الرواية، ص 75.

ب- حمو الحيحي:

1-البعد النفسي

كان حمو الحيحي مرتاحا نفسيا يعيش جوا عائليا يسوده التفاهم و الحب و الاحترام رغم عدم إنجابه للبنين لكن هذا لم يؤثر عليه بدرجة كبيرة فقد منّ الله عليه بزوجة صالحة سدّت ذلك الفراغ ولم يشعروا أبدا بنقصان عامل الأبوة والأمومة ،«بعد أن تزوجتها لأقل من سنة في فاس مدينة مولدها وترعرعها ،قضينا هذه السنوات في هناء لا بأس به ،رغم أننا لم نرزق مالا كثيرا ولا بنين ،هي تقوم في البيت والمطبخ لا أنازعها في تدبيرها ،وأنا أجلب أسباب العيش من حرف الحلال ».[1] لكن يبقى عائقه الوحيد في قصر قامته مما شكّل مشكلا بسيطا بينه وبين زوجته وكان يحسّ بالحرج أثناء التنزّه معها حيث قال: «هو ذا الخلاف بيننا: زوجتي تريدني في التنزه معها على ضفاف النيل والساحات جنبا إلى جنب .أما أنا ،فيعسر عليّ طلبها يا سيدي ولا تطيقه قامتي ،هذا فضلا عن الدين لا يحبّذ ذلك ،ولا أظنه يتوعّد رجلا يأبى المشي مع زوجته تعلوه بذراعين.»[2]

لكن هذا لم يسبب في خلق مشاكل عويصة بينهما تؤدي إلى كسر هذه العلاقة الوطيدة أو افتراقهما بل تشبّثوا ببعض إلى أن أخذته المنية.

2-البعد الاجتماعي:

كان حمو الحيحي يعيش حياة بسيطة يكسب قوت عياله بعرق جبينه وبما أحلّه الله من الحرف «وأجلب أسباب العيش من حرف الحلال أوّلها عندي الخط والنسخ »[3] ،كان متزوّجا من امرأة تدعى بأم البنين وهي من مدينة فاس ،عاشوا سنوات تسودها الهناء والطمأنينة إلا أنه نشب خلاف بينهما في قضية تتمثل في عدم قبول الحيحي مرافقة زوجته في التنزّه على ضفاف النيل مما دفع يهما بالتوجّه إلى فقيه البلاد ليفصل في قضيتهما ،فتوصّل إلى أن يصاحبها خادمه شعبان الذي يتّصف بالستر والأمانة ،«هذا الخادم إذن يصاحب أم البنين في خروجها

[1]- الرواية، ص19.

[2]- الرواية، ص19.

[3]- الرواية، ص 19.

مقابل أن يقبل السّي حمو إملائي بتعويض أقدر عليه »[1]، فعرض عليه العلامة فقيه البلاد بأن يصبح كاتبا له في أخر كل شهر فقال:« فأنا أطلبك لهذا الغرض عند متمّ كل شهر إلى أن يحلّ موعد ذهابي إلى الحج وأكرر أن ما أقوله عرض ليس غير.»[2] ، فرح الحيحي بالعرض الجميل الذي جعل وجهه ينفرج بالسرور وأبدى بفرحة مثوبة بالدهشة فقال له: «سيدي ،لم أنتظر منك كل هذا الخير ،أقبل عرضك على الرّأس و العين ،وأقوم به قبل حجّك الميمون وبعده ،وحتى من دون تعويض يكفيني شرفا أن أجالس سيّدي العلامة وأن أسمع منه وأقيّد ما يأمرني بتقييده.»[3]، وأصبح منذ ذلك الحين كاتبا له، منهج للسمع و الطاعة و مدّونا لكل إملاءاته في غرفة مكتبه، رفيقه في الليالي السبع و بع د ذهاب عبد الرحمان إلى الحج أصيب حمو الحيحي بمرض هز قوته و شلّ بدنه أدى إلى لقاء حتفه.

ج- الخادم شعبان:

1- البعد النفسي:

وهب الله للخادم شعبان زينة العقل وجمال الروح وصفاء القلب فقد كان رجلا متّزنا في كل المواقف عادلا في الأحكام بريقه لامع بالأخلاق والصفات ومقدام طيب ووافي فاتح لكل أبواب الخير يسود بينه وبين سيده التفاهم والتواصل لم يكن خادما فقط بل كان أخا وصديقا جديرا بالثقة حتى أنه كان يعلم كل صغيرة وكبيرة عن سيده ويشاوره ويأخذ برأيه ،يفرح لفرحه و يحزن لحزنه و يمرض لمرضه فهو يفهمه بعمق ويعرف طباعه ما يحب و ما يكره ،يدعمه في كل المواقف حتى أصبح خزانة لأسراره .«خادمي شعبان ذاك تجاوز السبعين ،لكنه قوي البنية واليقظة ،واع بواجب الستر والأمانة.»[4]، رغم معرفته أنه يتيم لكن ذلك لم يؤثّر عليه نفسيا ،فقد عوّضه سيده بكل المحبة والحنان دون أن يشعر بنقصان الحضن العائلي ونجد في الرواية مدى الثقة الموجودة بينهما فقد قال عنه سيده :« أنصت إلى نصائح شعبان ،وأشهد مبادرات هذا الرجل الذي يستحق الجنة من دون حساب »[5] ، فقد كان شعبان حاضرا في كل المراحل التي مرّ بها سيده فقد تأثّر بفرحه وحزنه ،سعادته كانت لا توصف عند زواج سيده بأم البنين وازدادت

[1]- الرواية، ص 22.
[2]- الرواية، ص22.
[3]- الرواية، ص22.
[4]- الرواية، ص22.
[5]- الرواية، ص142.

فرحته عندما رزقهما الله بطفلة تسمى البتول ،«عاد شعبان بما طلبته منه وبصينيته القهوة ،فقمت و عانقته باثاً في أذنه الخبر السعيد ووصايا له بمطاوعة أم البنين في الخدمة فبارك لي متأثرا ودعا للست بيسر الوضع».[1]

انتاب شعبان شعورٌ من الهم والحزن و الإكتآب بداية مرض سيده والذي لم يستطع تقبّله ،وأحسّ أنه خسر جزءا من نفسه وحياته ،فبعد أن وفته المنية بكى حتى نفذت الدموع من عينيه حزنا ليس بعده حزن .

2- البعد الاجتماعي:

عاش شعبان يتيم الأب والأم ،لكن الله قد عوضه بحضن يحنّ عليه و بيت يؤويه «فتحت عيني على الدنيا في بيت الفقيه العدل سراج الدين الفيومي الشافعي، المشهور بين أهل علمه بما اشتهر به سيدي من حرص على إقامة حدود الله و أحكامه، كبرت في ذلك البيت الفسطاط معززا مكرما» حتى أن بلغ من الرابعة من عمره عرف أن ذلك الفقيه ليس بوالده بل إ شتراه من نخّاس و«بعد أن اعتقه عرض عليه أن يبقى في خدمته أو ينصرف عنه إلى غيره فاختار أن يبقى في كنفه لا سيما كان قد ترمل و لم يرزق ولدًا ، وحين شعر بدنوّ أجله ورثني بعقد أرضا في الصعيد هي ثلث ما كان يكسب».[2] لكن لم يفلح بهذا الإرث ولم يذق طعم الهناء به و ذلك خروج الورثة من كلّ حدب و صوب و طعنوا في صحة الوصية واستولوا على الأرض و سلبوها له بدعم من قضاة الزور و أصابه قهر شديدًا لضياع حقه منه حتى وصل به المطاف أن يحلم لضياع كل ليلة «كما لا أكتم سيدي أني رأيت غير مرة فيما يرى النائم أني أتحول تارة إلى عنترة أو سيف بن ذي يزن، و تارة أخرى إلى عمر بن الخطاب سيف الله المسلول ،فأهجم على المناكر والخروقات وأرديها قتيلة ،أو أستعدي عليها كل مغلوب وكل مقهور ،وحين استفيق أجد يدي تكيل الضرب المبرح الحافي ومخدتي فأبكي بشدّة لضعفي وعجزي ».[3]

رأف به عبد الرحمان وعرض عليه أن يصبح خادمه فاحتواه بمنزله ووهب له الملجأ بكل برحب وسعة وهو بدوره أصبح ذراعه اليمين حتى أنه ائتمنه على أم البنين ،أحبّه عبد الرحمان وجعله محل ثقة ،فقد كان يشاوره في كل الأمور ويأخذ برأيه ويستشيره في كل القرارات وبدوره شعبان لم يتردد يوما في تلبية طلباته بل أصبح سببا في سعادته بعد أن فقدها

[1]- الرواية، ص141.

[2]- الرواية،ص15.

[3]- الرواية،ص16.

أثناء موت امرأته ،فقد عمل على التقائه بأم البنين المتوفاة زوجها فأرجع له طعم الحياة وصحة البدن بعد هزله ومرضه فقد قال في الرواية: «عجب تحوّل الوجود عندي من عسره وثقاله المعهودة إلى دوائر والخفّة واليسر ،عجب انسياب الوقت كالماء الزلال بين يديّ ،عجب زوال داء المفاصل من بدني ،كأنّه ما ألم بي قطّ ،عجب عود الرغبات إلى جسمي خفاقة بعد استيلاء التصدع والزهد عليّ ،هذه العجائب وأخرى لا ريب عندي أن مديرتها امرأة»[1]، و بالتالي أصبح سببا لسعادته اللا منتهية بعد أن رزقه الله بالبتول .

بعد ذهاب سيده إلى دمشق ائتمنه ببنته وزوجته التي اختارت الرحيل بعد الأخبار المتداولة عن زوجها ، لكن شعبان لم يستسلم وعمل على إرجاعها بعد عودة سيده وفاءًا له وإحساسًا بألم فقدانها فعمل على إرجاع النبض إلى قلبه والقوة لبدنه بعد عودتها بقي وفيا لسيده إلى آخر نفس من حياته فحزن وشعر باكتآب شديد لفقدان الحضن الدافئ الذي كان يأويه والصاحب الدائم الذي أحبه و السيد العادل في أحكامه.

د– أم البنين:

1– البعد النفسي:

تعتبر أم البنين شخصية قوية و متزنة رغم أن مسرى حياتها عرف منعرجات وتغيرات مختلفة بما فيها الحب والطمأنينة ،الألم والحزن ،البكاء والفرح مما أثّر على جانبها النفسي ،فقد عاشت مع زوجها حمو الحيحي حياة بسيطة يسودها الاحترام والهناء والطمأنينة ،ولكن تبقى سعادتها ناقصة لعدم تمكّنها من الإنجاب مما فطر قلبها وسلب منها طعم الحياة ولذّتها ،لما رآها العلامة سألها عن سبب بكائها و تعاستها فقالت :«لأني سيدي ، اسم على غير مسمّى لأني أمّ لبنين لا وجود لهم إلا في حلمي ووهمي عظمت رغبتي في الولادة وملأت أوقاتي كلّها لا التنزّه يخفف عني ولا احتضان أطفال الآخرين ،تراني يا سيدي في بعض لحظات خلوتي آخذ مخدة حجري وأنشد باكية كالحمقاء .كل سنة تمرّ في العقم تزيد من جزعي وخوفي ،وأخشى أن تكون نهايتي من بلوغي سنّ انقطاع الحيض لا قدّر الله ».[2]

[1]– الرواية،ص 133.

[2]– الرواية، ص ص 97-98.

واصلت حياتها إلى أن وافت المنية زوجها فكانت القطرة التي أفاضت الكأس ،فشعرت بحزن وألم كبير لفقدان عمود بيتها وسندها الوحيد في حياتها من جهة، ومن جهة أخرى عدم وقوف أخيها إلى جانبها، بل زادها ألما ومشاكل كثيرة بما كان يسببها جراء تعاطيه للكحول وغيرها من أعمال الفسق ،لكن الله قد رأف برحمته عليها وجعل الخادم شعبان سبب في تغير مسرى حياتها وزواجها بعبد الرحمان الذي غير جانبها النفسي إلى الأفضل وجعل حياتها أكثر طمأنينة ،فازدادت سعادتها عندما رزقها الله ببنت اسمها البتول ،ولكن هذه السعادة لم تدم طويلا بل انقلبت إلى ألام وأحزان بعد أن سمعت أخبار سيئة عن زوجها الذي سافر إلى دمشق وقد مات فيها فلم تستطيع تقبّل هذا الخبر الفظيع فانهارت نفسيتها واسودّت الحياة في عينيها فأصابها ألم ليس بعده ألم ،وفي نفس الوقت مرضت ابنتها فأصرّ أخوها للعودة إلى ديارهم رغم أن قلبها لم يُرد ترك مسكن الأحباب لكنها اضطرّت للمغادرة رغم إصرار الخادم شعبان على بقائها. وعند عودة عبد الرحمان لم يتقبّل ذلك فسعى بكل الطرق لإرجاعها لكن كان يخفق في كل مرة إلا أن أفلح خادمه بإيصال خبر عودته إليها فرجعت الحياة إلى نبض قلبها وأتت لأخذ زوجها معها لكن لم يسمح له الوضع لذلك واعدًا إياها ملاحقتها لكن شاء القدر أن يفرق بينهما فأصابه مرض عضال هزّ بدنه وأدى إلى موته فكانت هذه أكبر فاجعة لها لم تستطع إكمال حياتها من شدة الحزن و الألم الذي تركه فيها.

2- البعد الاجتماعي:

أم البنين امرأة من أصل مغربي، من مدينة (فاس) عاشت في منزل صغير في "بحارة مصامدة" مع زوجها حمو الحيحي من طبقة اجتماعية معروفة، عاشوا حياة يسودها التفاهم والاحترام رغم عدم إنجابها للأطفال، تغير مجرى حياتها عند بداية مرض زوجها فمرت بأوقات عصيبة وذاقت معه قساوة العجز ونفاذ الصبر وذلك عند اشتداد مرضه إلى أن وافته المنيّة، فبكت حتى نفذت دموعها وانفطر قلبها وهزّ كيانها واحترقت من فراق شريك حياتها وسندها. لم تكتفي بهذا الألم وزاد عليها ألم أخيها الغير المرغوب فيه لا من طرفها ولا من طرف عائلتها والذي اتّبع مدارج الغيّ والفسق وعوض أن يكون سندًا لها بعد زوجها زادها همًّا وحزنا وألما ،لكن القدر منّ عليها بشمعة أمل أنارت لها دربا جديدا من الحياة تمثل في الخادم شعبان ،والذي كان خيطا رابطا بينها وبين الفقيه عبد الرحمان فقد قال في الرواية: «زواج سيدي بالسّت معقول من وجوه عدّدها معي ،معقول حتى تكمّم أفواه الشتم والنم ،معقول حتى تقوى على أخيها البلاء المسلّط ،معقول ثم معقول لأن المرأة تحملك في قلبها وقرّة عينها ،هذه المرأة بدأت معجبة وانتهت محبّة ،اسألني عنها أنا العارف بكلامها الواضح والمرموز ،والله ما رأيت أكثر منها

شغفا بك أما حكاية فارق السن بينكما فمعرفة سيّدي سيرة سيّد الخلق تبطلها. اتكّل على الله يا حاج وأكمل دينك بما يأمر به الشّرع ويرضاه».[1] فتزوّجت مرة ثانية بعبد الرحمان الذي سخّر لها حياة هنيئة عوّضها عن الألم والحزن الذي عاشته ،وهي بدورها كانت نعمة المرأة والزوجة بالنسبة له فقد أرجعت له شبابه رغم كبر سنّه وقال في الرواية:« فاتح رجب تسعين وسبعمائة ،تاريخ أدوّنه بماء الذهب ودمع الفرح ،تاريخ من شهر مقدّس ،كأنّي معه بعثت من جديد لأجد في منزلي أم البنين وقد أشهدت على نكاحها عدْلين ،وأقمت لها عرسا في منتهى البساطة والخفّة ،بين أقرب الصحاب والجيران ،كل الترتيبات والتدابير تيسّرت بقدرة القادر... أمام ما يحدث لي ،نفسي اعترتها حالة أسميتها تدقيقا سكر الافتنان. مفتون أنا بزوجتي الحلال وبما يحيط بها ،مفتون بغليان الدم في شراييني وانتعاش خلاياي ،مفتون بآيات الجمال أينما تجلّت في ابتسام الأطفال وتغريد الطير وهبوب الأنسام على الروح الظمأى وكل الأجسام»[2] ، غمرتهم فرحة عارمة ما بعدها فرح، فبرز فجأة في صفْو حياتهم الزوجية الجديدة نورا جديدا تميّز برزقهم ببنت تدعى البتول ،فقد قالت له:« أنا حبلى يا عبد الرحمان ...حبلى". "كدت أنا بدوري أبكي فرحا بحدث ما فكرت فيه يوما بعين الجدّ ضممتها ضمّا وسألتها: "حبلى أنت يا أم البنين ! هل أنت تأكدت حقّا؟ فقالت: علامات الحمل لا تخفى عليّ وعلى القابلة ، فقال مطابقا لقوله تعالى: ﴿أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فشكر الله وقال ربي الحمد لك والشكر»[3]، و هذا ما زاد من عظمة سعادتهما بهذه النعمة الكبيرة خاصة أم البنين التي انتظرت هذه الفرحة بعد عناء كبير وصبرا دام طويلا ،لكن شاء القدر أن تترمّل مرة ثانية بعد أن خاض زوجها معركة كبيرة جراء المرض الذي أصابه ،شوقا لابتعاد أم البنين عنه بسبب عودتها إلى ديارها لمعالجة ابنتها المريضة فكانت أسوأ نهاية لأجمل بداية مع زوجها المتوفى عبد الرحمان .

هـ– سعد:

1– البعد النفسي:

إن شخصية سعد شخصية انطوائية غير متّزنة وغير مسؤولة إذ طغى عليه جانب اللامبالاة وإتباع هوى النفس والفسق وشرب الكحول ،مما أدى به إلى الهلاك ومحاولته للانتحار ،وعندما وجده الفقيه عبد الرحمان ابن خلدون

[1]– الرواية، ص 128.

[2]– الرواية، ص 132.

[3]– الرواية، ص 141.

الذي هو زوج أخته بهذه الحالة الميؤوسة « القيّمون كلهم أخبروني أن صهري ميؤوس من حالته ،،إنه أمسى يرفض الطعام بعدما رفض الأدوية والكلام ،سألت طبيبا أعاجز فنّه بالتمام عن برء مريضه ،فأكدّ لي أن العلاج صعب بل مستحيل في النفوس التي جمعت من كل الأخلاط طرفا»[1]، حاول الفقيه في معالجة حالة صهره، فقد كان في حالة لا يُرثى لها إندهش من المنظر المخيف و المحيل للشفقة ،فقد قال في نفسه :« رباه هل يُعقل أن يتردى الإنسان في مثل هذا الحضيض ! قال :ملت على أذن المنطرح حابسا دمعي وسألته عن اسمي لكن عبثا »[2]،لم يتحمّل عبد الرحمان هذا المنظر فأخذه إلى الشيخ أبا عبد الله محمد الراكراكي الذي قام بمعالجته في زاويته خارج القاهرة بأرض المقص على أرض المغرب.

2- البعد الاجتماعي:

سعد شاب أعزب عاش حياة اجتماعية صعبة مليئة بمختلف المشاكل نظرا لإتباعه حياة اللّهو والتمتّع بالملذّات والشهوات مما أثر على صحته وهلاك بدنه والعيش أوقات عصيبة جدا في غرفة المستشفى والتي كانت بمثابة الزنزانة بالنسبة له ولولا رأفة زوج أخته عليه وأخذه إلى الزاوية للاقا حتفه هناك ،أخذه الشيخ إلى زاويته وقال لعبد الرحمان بأنه يجب أن يبقى عند الشيخ « مكان نسيبك ليس في منزلك ولا في المارستان بل هنا في زاويتي حيث أعلمه بين متدربي الفقراء أن يخشى الله ويتقّيه في نفسه » ،فقد قال الله تعالى :﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّه وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَى فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هيَ ٱلْمَأْوَى﴾.(سورة النازعات الآية4)[3]، فأجابه عبد الرحمان أملي في الله وفيك»[4] ،هكذا فقد اعتنى به الشيخ وعمل على معالجته من هذا الإدمان والمرض الخبيث .

و- تيمور الأعرج:

1- الجانب النفسي:

[1]- الرواية، ص141.

[2]- الرواية، ص143.

[3]- الرواية، ص 148.

[4]- الرواية، ص148.

يمتاز تيمور بنفسية قوية جدا وثقة كبيرة بالنفس ،فقد امتلك أعظم قوة في التاريخ ،مما جعله زعيم للمغول أعنف قائد عسكري في عصره ،لا يعرف معنى الخوف والخسارة ،لغته كانت الربح والسيطرة ،نفسيته لا تعرف الندم والحسرة من كثرة الدماء التي سفكها والدمار الذي ألحقه بالآخرين، لكن يبقى تيمورلنك إنسان له أحاسيس ومشاعر في قلبه حب امرأته التي كانت دائما تطغى على تفكيره ولا تغيب صورتها عن عينه ونجد ذلك في الرواية «إنها ولا شك امرأة وراء استنفارك وطلبك الرحيل عناّ ،كم أفهمك وأعذرك يا ابن خلدون ! حتى أنا لي في سمرقند زوجة تحبني وأحبها ،لا الغزوات تنسيني صورتها ولا الحريم ولا نساء الدنيا ،أنت وأنا في السبعين من العمر تقريبا ومازال في قلوبنا متسّع لحب امرأة واحدة لا شريك لها ».[1]

2- البعد الاجتماعي:

تيمورلنك مؤسّس الإمبراطورية التيمورية ،زوج لسراي ملَك خانوم من سمرقند ،كان أعرج القدم وذلك لإصابته بسهم من طرف راع. قاد العديد من الغزوات والحروب والتي آلت أغلبها بالربح والقضاء على العدو ، استنادا لهذه الرواية فقد دخل تيمور إلى بغداد وعمّ فيما الفساد بعد عيْث جيوشه في أهلها وعمرانها و كان هذا الخبر كالصاعقة على مدينة مصر وملكها ،مما دفع بابن خلدون إلى التفكير والتحليل للشخصية هذا الأخير ومعرفة الإستراتيجيات التي كان يستعملها للفوز في كل معركة فقد اكتشف أن وراء كل هذه الانتصارات والسّر فيها يكمن في «التخطيط لكل معركة ويختار مجالها وتوقيتها بالدراية الجغرافية والتجسّس السياسي ».[2] ترك تيمورلنك رعب كبير واستنفار شديد في قلوب المصريين ومماليكهم ، بعد أن ظنوا أنهم التاليين في معاركه ،ولكنه أجّل المواجهة. «عميت أخبار تيمور حينا من الدهر ، لكن شبحه الرهيب ظلّ جاثما على الأذهان والمجالس ،فلا أحاديث في المحافل العامة والرسمية إلا عن فظائعه وأهواله وعن قساوته ودهائه».[3]

قوة الفضول عند عبد الرحمان ابن خلدون ورغبته في معرفة هذه الشخصية المسيطرة على كل الحكام وجميع المماليك والسلاطين دفعت به للذهاب إليه ،ولكن كانت صدمته أكبر عندما لقى ترحيبا كبيرا من تيمور مما جعله يندهش منه ومن شخصيته « ودعا ضيفه إلى تناول الطعام بين يديه ،فأمر بإحضار إحدى الأكلات المغولية المفضلة واسمها

[1]- الرواية، ص267.

[2]- الرواية، ص 189.

[3]- الرواية، ص 190.

الرشتة ، وعرضت صحونها أمام المدعو ونال منها لقما كثيرة عساه يظهر إعجابه بالطبخ التتري».[1] ،فقد مرّت الأيام بهما وتيمور كان يقص على ابن خلدون كل معاركه مقدما تفسيرات للأسباب التي دفعت به لقتل العديد من الحكام فوجد فيه كل الفطنة والدهاء ،القلب القوي ،العزيمة والإرادة ،فلم يكن في قاموسه أي كلمة ترمز للخوف أو الخسارة ،بل كان هدفه دائما الفوز والتحكّم والسّيطرة وزرع الخوف في قلوب كل المماليك المجاورة، وعندما أراد ابن خلدون العودة إلى دياره اكتشف أن لهما رابط مشترك يتمثّل في شوق وافتقاد كلاهما لزوجاتهما اللتان كانتا بعيدتان عنهما.

[1]- الرواية، ص 148-149.

خاتمة

خاتمة:

الحمد الله الذي استعنا به وقد وفقنا بأن رزقنا الهدى والصلاح ونور العقل والبصيرة، ومنحنا المقدرة على إتمام هذا العمل.

توصلنا في نهاية بحثنا هذا إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

– تعد الرواية التاريخية فن روائي يمتزج فيه الواقع بالخيال، وتهدف إلى تصوير أحداث زمن من الأزمنة بأسلوب روائي صائغ مبني على معطيات التاريخ ولكن من غير أن تتقيد بها.

– لعبت الرواية التاريخية دورا مهما عند الغرب والعرب لكونها سرد قصصي يدور حول أحداث تاريخية حصلت فعلا في زمن ما، وهي عبارة عن محاولة لإحياء بعض الشخصيات التاريخية من خلال أشخاص خياليين أو حقيقيين أو المزج بينهما معا.

– تهدف الرواية التاريخية إلى تسلية القراء بأحداث مشوقة.

– يتيح التاريخ للمؤلف حرية العمل فكريا، إذ يقدم له مادة يستطيع من خلالها إثارة قضايا الواقع من غير جرم ولا خوف.

– تقوم رواية العلامة ابتداء على بنية زمنية تاريخية، تتشخص في فضاء تاريخي، يمتد من الماضي وحتى اللحظة الراهنة، تضيئه أحداث تحييها شخصيات إنسانية فنية، حية وكاملة.

-للزمان والمكان والشخصيات واللغة دورا هاما في رواية العلامة، فهي بمثابة الأعمدة الأساسية التي بنى عليها الروائي عمله، إذ شكلت في الرواية نسيجا وبنيانا لا يمكن الاستغناء عن أحدها أبدا.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر و المراجع:

القرآن الكريم

المصادر:

1) بنسالم حميش، العلامة، الشركة الدولية للطباعة، ط1، مصر،**2003م** .

المعاجم:

1) ابن منظور، لسان العرب ، مادة (س، ر، د) المجلد السابع ، دار صادر بيروت .

2) احمد مختار عمر بمساعدة فريق العمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، القاهرة، **2008م**.

3) جيرالد برانس، قاموس السرديات، تر: السيد أمام، ميريث للنشر والمعلومات، ط1، القاهرة، 2003م.

4) سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتب اللبناني ، ط1،بيروت، 1995م.

المراجع:

1) ابن خلدون، المقدمة، ج1، دار الفكر، دط، بيروت، **2001م**.

2) أحمد حمد النعيمي، إيقاع النص في الرواية العربية المعاصرة ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر عمان، الأردن ،ط1 **2004**،.

3) جبران خليل جبران، الأجنحة المنكسرة ، دار الضئيل للطباعة والنشر، (دط)، حي سي اسماعيل، برج الكيفان، (دت).

4) جورج لوكاش، الرواية التاريخية تر: صالح جواد كاظم، دار الطباعة،(د،ط)، بيروت،**1978 م**.

5) جيرار جونيت، خطاب الحكاية، بحث في المنهج، تر : معتصم عبد الجليل الأردني، عمر علي، المجلس الأعلى، ثقافة، ط2، **1997م**.

6) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء ، الزمن ، الشخصية)، المركز الثقافي، ط1، **1990م**.

7) حفيظة أحمد، بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، (دراسة نقدية)، مركز أوقاريت الثقافي،ط1، فلسطين، **2006م**.

8) حميد الحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ط1، **1991م**.

9) د.عبد الفتاح عثمان، بناء الرواية (دراسة في الرواية المصرية)، ككتبة الشباب (المنيرة)، القاهرة،**1982م**.

10) رزان محمود إبراهيم، الرواية التاريخية بين الحوارية والمونولوجية، دار النشر، عمان الأردن، ط1، **2018**.

11) سعيد بن كراد، شخصيات النص السردي، البناء الثقافي منشورات جامعة المولى إسماعيل، مكناس، 1994م .

12) سعيد سلام، التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا)، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن،**2010م** .

13) سعيد يقطين، البنيات الحكائية في السيرة الشعبية، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997م.

14) الكلام والخبر، مقدمة للسرد العربي ،المركز الثقافي العربي ، ط1، الدار البيضاء،**1997م**.

15) شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،دار فارس للنشر والتوزيع،ط**1994**،1.

16) شريبط أحمد شريبط، تطور البنية الفنية في القصة الجزائرية المعاصرة، دار القصبة للنشر، دط، الجزائر، **2009م**.

17) شكري عزيز الماضي، فنون النثر العربي الحديث، جامعة القدس المفتوحة، ط1، **2012**م.

18) في نظرية الأدب، المؤسسة الوطنية للنشر، ط2 ،الجزائر، **1984** م.

19) الصادق قسومة، نشأة الجنس الروائي بالمشرق العربي ، دار الجنوب للنشر ،تونس،**2004**م.

20) صبحية عودة زعرب، سيزا قاسم بناء الرواية، دراسة مقاربة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة والنشر، ط1،بيروت، **1985**م.

21) غسان كناني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان الأردن، **2006**م.

22) عبد القادر بن سالم، السرد وامتداد الحكاية، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين، ط1، الجزائر**2009**م.

23) عبد القادر، حسن لافي قزف، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر، ط3،عمان، **2000**م.

24) عبد الله إبراهيم، السردية العربية الحديثة، المركز الثقافي، ط1، المغرب ،**2003**م.

25) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد ، عالم المعرفة(د ط)، الكويت، 1998م.

26) غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، ط1،عمان الأردن،**2006**م.

27) فريال سماحة، الشخصية في روايات حنا مينة، المؤسسة العربية، ط1، بيروت ،**1999**م .

28) فيصل دواح، الرواية وتأويل التاريخ ونظرية الرواية والرواية العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، المغرب،**2004**م.

29) لحسن مزدور، مقارنة سينمائية في الشعر و الرواية، مكتبة الآداب، ط1، الأردن،**2005**م.

30) محمد القاضي، الرواية والتاريخ، دراسات في تخييل المرجعي، دار المعرفة للنشر، ط1،تونس، **2008**م .

31) محمد بوعزة، تحليل النص السردي (تقنيات ومفاهيم)، منشورات الاختلاف، ط**2010**،1م.

32) محمد معتصم، المرأة والسرد، دار الثقافة، ط4، المغرب،**2004** م.

33) محمد يوسف نجم، فن القصة، دار صادر بيروت، ط**1**، بيروت، **1955**م.

34) محمود السمرة، في النقد الأدبي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع،ط**1** ،بيروت،**1959**م.

35) محمود ذهني، تذوق الأدب طرقه ووسائله ،مكتبة الأنجلو المصرية،ط1، القاهرة، **1997م**.

36) منصور قيسومة، الرواية العربية ،الإشكال والتشكيل، دار سحر للنشر،ط1، **1997**م.

37) مهما حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1،بيروت،**2004**م.

38) نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلانى، دار العلم والإيمان، سميسم للنشر والتوزيع، ط1،مصر، **2010**م .

39) نبيل حمدي الشاهد، بنية السرد في القصة القصيرة، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، **2013**م.

40) نضال الشمالي، الرواية والتاريخ بحث في مستويات الخطاب الرواية التاريخية، دار النشر التوزيع،ط**2006**،1م.

41) يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، ط1 ، **1990**م.

42) أوريدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية (دراسة بنيوية لنفوس ثائرة)، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع،ط1، تيزي وزو، **2009**م.

المجلات والرسائل الجامعية:

1) سعيد يقطين، الرواية التاريخية وقضايا النوع الأدبي، مجلة نزوى، العدد44"nizwa.com /articls.php ". بتاريخ **22-07-2009م**.

2) عبد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي ،مجلة فصول في النقد، ع2، مجلد 12، القاهرة، **1993**م.

3) علي عبد الرحمان فتاح، تقنيات بناء الشخصية في الرواية (ثرثرة فوق) ، مجلة كلية الأدب ، عدد 102.

4) ياسين النصير، الرواية والمكان ،الموسوعة الصغيرة 195، دار الشؤون الثقافية العامة، الموسى خليل، التحولات النفسية والذهنية في الشخصية الروائية، مجلة المعرفة، العدد 395، **1995**م.

5) نيكولاي أناستاسييف، شخصية المؤلّف في أدب القرن العشرين، تر: بنعيسى بوحمالة، فصول، م10، (ع1)، القاهرة، **1991**م.

6) نيلي كورمو، فيزيولوجية القصة، الأدب، ع1، بيروت، **1945**م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

المقدمة.....(أ-ت)

المدخل

الشخصية بين الرواية والتاريخ.....7

1-التاريخ بين الأدب و الرواية 7

2-الرواية التاريخية.....8

3-الشخصية التاريخية 10

4- **العلاقة بين الشخصية الواقعية (التاريخية) والشخصية الروائية**..... **12**

5-أبعاد الشخصية 14

الفصل الأول

البناء الفني في رواية العلامة..... 17

ملخص الرواية.....**18**

1-بنية الزمان.....21

2-بنية المكان.....26

3-لغة الرواية 37

الفصل الثاني

أبعاد الشخصيات بين الواقع والمتخيل 41

1- أنواع الشخصيات.....43

2- الشخصيات في رواية العلامة.....44

3- أبعاد الشخصيات في رواية العلامة.....48

الخاتمة..... 67
قائمة المصادر و المراجع..... 69
فهرس الموضوعات..... 75
ملخص

ملخص:

يطرح هذا البحث مسألة أبعاد "**الشخصية الإنسانية في رواية العلامة لبن سالم حميش** "، تعالج موضوع شخصية تاريخية واقعية وهي شخصية العلامة "**عبد الرحمان ابن خلدون** "، كما وظفها الروائي كشخصية خيالية في روايته، بالإضافة إلى شخصيات خيالية أخرى، وقد تناولنا في هذه الدراسة تصنيف الشخصيات من حيث دورها الرئيسي والثانوي، إلى جانب التعرف على أبعادها المختلفة، فالشخصية بأبعادها ومرجعياتها تمثل أحد أهم الركائز الأساسية في العمل الروائي، لأن دورها يكتمل بحضور عنصري الزمان والمكان اللذان لا يمكن لأي روائي أن يستغني عنهما داخل المبنى الحكائي.

الكلمات المفتاحية : الرواية، الشخصية، البعد، العلامة، ابن خلدون، بن سالم حميش.

Summary:

This research raises the issue of the dimensions of the human personality in the novel "AL a lama by Ben Salem Hamish", that deals with this subject of a realistic historical figure "Abed al –Rah man ibn Khaldoun."The novelist used her as a fictional character in his novel, in addition to other fictional characters. In this study, we dealt with the classification of personalities in term of their main and roles, in addition to identifying its different .The personality with its dimensions and references represents one of the most important pillars in the novelist imagination, because its roles is completed by the presences of the two elements of time and space, which no novelist can dispense with within the narrative building.

Key words: The novel, personality, The dimension, AL a lama, Iben KHaldoun, Ben Salem Hamish.